قصص
عالمية
للفتيان

الكنار المسحور



ترجمة رياض ابراهيم العطار

فريق التوثيق
الألكتروني

الكنار المسحور

ترجمة

رياض ابراهيم العطار

فريق التوثيق الألكتروني

الكنار المسحور

ترجمة؛ رياض ابراهيم العطار

الطبعة الاولى ١٩٨٨

جميع الحقوق محفوظة

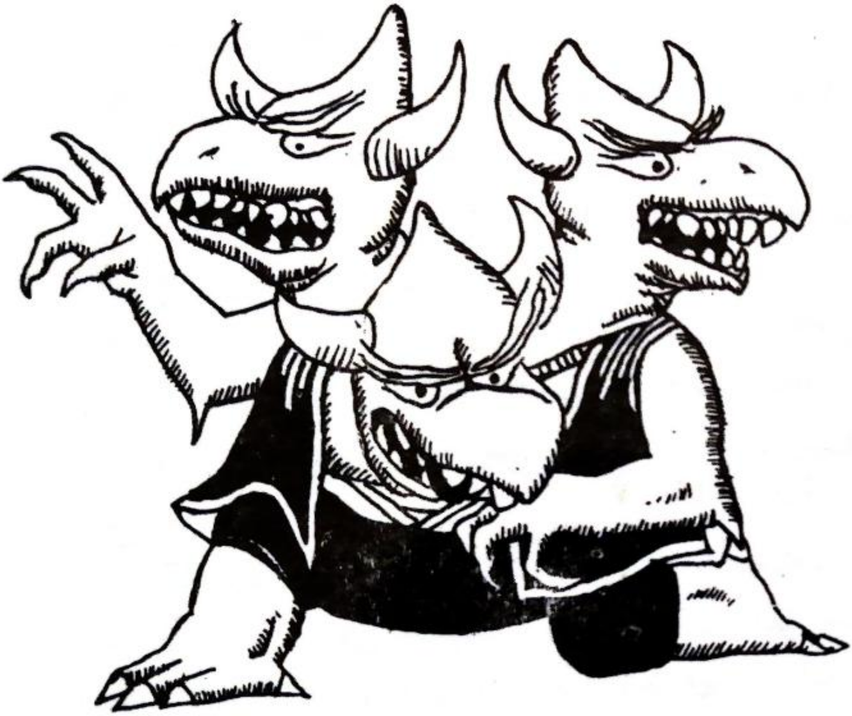
الناشر : وزارة الثقافة والاعلام
دار ثقافة الاطفال
العراق - بغداد ص . ب ٨٠٤١

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
نحن لا نصور الكتب وإنما نعيد إتاحتها وتجميعها على شكل أرشيف

قصص عالمية للفتيان

سلسلة تصدر عن قسم النشر
في دار ثقافة الاطفال
المدير العام : فاروق سلوم
سكرتير التحرير : فاروق يوسف

قلعة سوريا موريا



فيما مضى من الزمانِ عاشَ زوجانِ مع ابنهما الوحيد (هافلر) الذي لم يكن يُحبُّ أن يعمل شيئاً عدا الجلوسَ والعبثَ ببقايا النار . أرسله والده عدّة مراتٍ ليتعلَّمَ صنعةً أو تجارةً ، لكنه في كلّ مرةٍ كان يهربُ من معلّمه ويعودُ سريعاً الى البيتِ ليجلسَ في زاويةٍ قُربَ الموقد ويعبثُ بالرّمادِ مرةٍ أخرى .

وذات يوم وصلَ الى المدينةِ قبطانٌ بحريٌّ وسأل هذا القبطان (هافلر) إن كانَ يرغبُ في الذهاب معه للابحارِ ورؤيةِ الأراضي البعيدة الغريبة . وكان (هافلر) يميلُ الى ذلك فأجابه بالموافقة واستعدَّ للسفرِ بسرعةٍ كبيرة .

لا أحدَ يعرفُ كم أبحرا ، ولكن بعد زمنٍ طويلٍ طويلٍ هبَّت عاصفةٌ هوجاء ، وحين هدأت الرياحُ وعاد البحرُ ساكناً لم يعرفْ أيٌّ من المسافرين أينَ أصبحا فقد جرفتها العاصفةُ الى شاطئٍ غريبٍ لا يعرفُ أيٌّ منهما شيئاً عنه .

تمدّد الاثنان في مركبهما خائرين مدةً ثمَّ طلب (هافلر) من الرَّبان أن يأذن له في النزولِ الى الشاطئ واستطلاع المكان ، وسمحَ له الرَّبانُ بالنزولِ على أن يعودَ بأسرع ما يمكن اذا هبّت الرياحُ من جديد .

وهكذا نزلَ الى اليابسة فوجدَ بلداً جميلاً بهيجاً ، حيثما سار كان يرى أمامه أراضيَ منبسطةً ، ومروجاً وحقولاً على مدّ النظر ، لكنه لم يرَ بشراً ، لا أحدَ على الاطلاق . واشتدت الرياحُ لكن (هافلر) كان يَوَدُّ رؤية المزيد ، لذا لم يَعُدْ الى السفينة وقرّر التمشي مسافة أطول فربما يلتقي بأحد . وبعد قليل وصلَ الى طريقٍ مُعبّد ناعمٍ الى حدّ أنه لو تركت عليه بيضةٌ لتدحرجت من دون أن تنكسر .

سلك (هافلر) ذلك الطريق ، وحينما حلَّ المساء رأى على البعد قلعةً فيها أضواء . كان (هافلر) جائعاً ، فقد سار اليوم كلّه ولم يكن قد جلبَ معه ما يأكله ، ومع ذلك فكلّما اقترب من

القلعة زادَ خوفُه مما قد يلقاه هناك .

دخل (هافلر) الى القلعةِ فوجدَ فيها موقداً فيه نارٌ مشتعلة ، وكان المطبخُ من أفخم ما رأى هافلر في حياته ، أوانٍ من الذهب والفضّة وكلّ شيءٌ يدلُّ على البهاء والثراء ، ولكن لم يشاهد (هافلر) أحداً هناك ، وقف مدة من الزمن ، ولكن لم يخرج أحد ، وفتح باباً فرأى في الداخل أميرةً جالسةً أمام (نول) تغزل به .

وحين رأته الأميرة صاحت :

– اوه .. كلا .. أيجرؤ انسانٌ عاديٌّ على المجيءْ هنا ؟ خيرُ ما تفعله الآن هو أن تهرب بسرعةٍ وإلا ابتلعك الوحش . إنَّ وحشاً بثلاثة رؤوس يعيش هنا .

أجابها الشاب :

– يُسعدني أن أرى هذا الوحشَ ، ويُسعدني أكثر لو كان له أربعةُ رؤوس أخرى ، فمن الممتعِ حقاً النظر الى مخلوقٍ بهذا الشكل ، وسوف لن أهربَ لأنني لم أسبّب أذىً لأحد ، ولكن عليكِ أن تعطيني شيئاً آكله فأنا جائعٌ بنحوٍ لا يصدق .

وبعد أن أكل (هافلر) ما أشبعه ، طلبتْ منه الأميرة أن يحاول رفع السيف المعلق على الحائط والتلويح به عالياً ، وامتثالاً لطلب الأميرة جرّب ذلك فلم يستطع ، بل لم يقدِرْ على تحريكهِ فقالت له :

– حسناً ، عليك إذن أن تشربَ من تلك الزجاجةِ المعلّقةِ بجانبهِ فقد كان الوحشُ يفعلُ ذلك كلّما أرادَ استعمال السّيف .

رشفَ (هافلر) رشفةً من الزجاجةِ وجرّب بعد ذلك فاستطاعَ أن يلوّح بالسيفِ كيفما يشاء بسهولةٍ تامة ، بعد ذلك عرفَ (هافلر) أن الوحش يوشك أن يظهر، فوقفَ خلفَ الباب ، وفي اللحظةِ ذاتها جاء الوحشُ ذو الرؤوس الثلاثة وهو يقول لاهثاً :

- هوتيتو .. هوتيتو .. رائحةُ دمٍ بشري هل يوجدُ انسانٌ هنا ؟

قال هافلر :

- نعم .. يوجدُ إنسان .. وستعرفُ ماذا يفعل .

وبحركة خفيفةٍ سريعةٍ قطعَ الرؤوس الثلاثة من دون أن يترك مجالاً لأحدها ليعرفَ ماذا حصلَ للرأس الآخر .

فرحت الأميرة بذلك . ورقصت وغنّت وقالت لهافلر :

- أشكرك من كلّ قلبي لقد أنقذتني من الوحش ، لقد حرّرتني لكن سعادتي لا تكمل إلا اذا حرّرت أختيَّ أيضاً .

- وأين أختاك الآن ؟

- إحداهما أخذها وحشٌ الى قلعتهِ التي تبعدُ ستة أميالٍ من هنا والأخرى حُملت الى قلعةٍ تبعدُ تسعة أميالٍ اخرى، فهل حقاً ستنقذهما ؟

- أعتقدُ أنني سأفعل .. ولكن قبلَ ذلك يجبُ أن نتخلّص من جُثةِ الوحش .. وعليكِ أن تساعديني في ذلك .

كان (هافلر) قوياً جداً ، وبسرعةٍ كبيرةٍ أزالَ جثةِ الوحش ورتّب المكانَ جيداً وبعد ذلك جلسَ مع الاميرةِ فأكلا وشربا وقضيا ليلةً سعيدةً. وفي اليوم التالي رحلَ هافلر مع أولِ خيوط

الفجر . وظلَّ يسيرُ حثيثاً ذلك اليوم بطوله من دون أن يرتاحَ دقيقة ، وحينما أشرفَ على القلعةِ أحسَّ بخوفٍ قليل ، وكانت القلعةُ أبهى وأفخم من القلعةِ الأولى ولكنها كانت تبدو خاليةً أيضاً ، ولم يشاهد (هافلر) بشرا فيها . دخل الى المطبخ ، ولم يتوقّف طويلاً هناك بل فتح البابَ مباشرةً وشاهدَ الأميرةَ الثانية :

– أوه .. كلا .. أيجرؤ مخلوقٌ بشريٌّ على الوصول هنا ؟ .. لستُ أدري كم من الزمن مضى عليَّ وأنا هنا لكني أعرفُ حتماً أنني منذ وصولي هنا لم أشاهد بشراً . سيكونُ من الأفضل لكَ أن تغادرَ حالاً لأنَّ وحشاً له ستة رؤوس يعيش هنا .

– كلاّ لن أذهب من هُنا ، حتى لو كانَ له ستة رؤوس أخرى غير هذه .

– ولكنه سيبتلعُكَ حيّاً إذا رآك .

ولم ينفع كلامُ الأميرة في ثني (هافلر) عن عزمهِ على البقاء في القلعة . لم يكن خائفاً من الوحش لكنّه كان جائعاً وظامئاً لأنه لم يكن قد جاء بطعامٍ أو شراب معه . وأعطته الأميرةُ ما أشبعه ورواه . ثمَّ حاولت مرّةً أخرى أن تحمله على الرحيل لكنه قال :

– كلّا .. لن أذهب ، لم أفعلْ ما يُسيءْ الى أحدٍ ولا شيْ يجعلُني أخاف

– ولكنَّ الوحش لن يتركك تتكلّم أو تجادل ، سيبتلعكَ حالما يراك ، ومهما يكن . وما دمتَ لا تريدُ الذهاب ، فهل تحاول أن تحملَ ذلك السيف الذي يستعمله الوحشُ عندما يقاتل ؟

ولم يستطع (هافلر) أن يلوح بالسيفِ فطلبت منه الأميرةُ أن يشربَ من الزجاجةِ المعلّقةِ بجانبهِ ، وبعد أن ارتشفَ منها جرَّبَ مرة أخرى فتمكن من هزّ السيف بِسهولةٍ تامة .

وبعد ذلك بقليل جاء الوحشُ ، كان كبيراً وتخيناً الى حدّ أنه كان يضطرُّ الى دخولِ القلعةِ مائلاً الى جنب ، وبعد أن دخلَ أول رؤوسه من الباب زأر قائلاً :

–هوتيتو .. هوتيتو .. رائحة دم بشري هنا .. هل يوجد انسان ؟ قفز (هافلر) من مكمنهِ وقطعَ الرأس الأولَ ، ولم يدع مجالاً للرؤوس الأخرى لتدركَ ما يحدثُ فقطعها جميعاً بسرعةٍ فائقة وفرحت الأميرةُ كثيراً لكنها تذكرت أختها الأسيرة لدى الوحشِ ذي الرؤوس التسعة فقالت لهافلر :

– لن أستريح ولن تكملَ سعادتي الا بانقاذ أختي ، فهل تحققّ لي رغبتي ؟ وهمَّ هافلر بالذهاب لانقاذ الأميرةِ في الحال بناء على رغبتها لكنه تذكر أنه لابدَّ من رفع جُثّة الوحش وترتيبِ المكان ، فقام بذلك ثمَّ جلسَ مع الأميرةِ فتناول الطعامَ والشرابَ وقضى ليلته سعيداً . وفي الصباح الباكر انطلق من جديد كان الطريقُ الى القلعةِ طويلاً جداً ، ولم يسترح (هافلر) أبداً ، وأشرف على القلعة عند المساء فوجدها أفخم وأبهى من كلّ ما رآه سابقاً .. ولم يكن هافلر خائفاً هذه المرّة أبداً ، دخلَ الى المطبخ ، ثمَّ فتح البابَ فوجد الأميرة الثالثة جالسة الى النول . وتعجّبت الأميرةُ من وجودهِ هناك وطلبت منه ان يرحل قبل أن يبتلعه الوحشُ ذو الرؤوس التسعة لكنه قال لها :

- لن أرحل من هنا حتى لو كان للوحش ثمانية عشر رأساً ، وحتى لو كان له سبعةٌ وعشرون رأساً .

وقف (هافلر) قُربَ الموقدِ وحاولت الأميرةُ مراراً حمله على الرحيل لكنه أصرَّ على البقاء فطلبت منه أنِ يثني السيف وحين لم يستطع أعطته الزجاجةَ فشربَ منها وراحَ يُطوّح بالسيف في الهواء .

وجاء الوحشُ ، كان أكبرَ وأضخمَ من الوحشينِ الآخرين ولم يكن يستطيعُ الدخول من بابِ القلعةِ إلا بصعوبة . وقال حالَ دخوله :

- هوتيتو ... هوتيتو .. رائحة دمٍ بشري .. لابُدَّ أن إنساناً هنا ولم يضيع (هافلر) وقتاً وبأسرع ما يمكن قطعَ الرؤوس التسعة بخفّةٍ ومهارة وكان ذلك أصعبَ عملٍ قامَ به في حياته لكنه كان قوياً بما فيه الكفاية ليفعلَ ذلك . وبعد أن تخلّص من جُثة الوحش جلسَ مع الأميرةِ وتناول الطعامَ والشرابَ ثمَّ قضى ليلةً سعيدة . وفي الصباح جاءت أختاها الأميرتان واجتمعت الأخوات وشملتهنَّ السعادةُ التي لا توصف . وكان (هافلر) سعيداً معهنَّ أيضاً .

مرّت الأيام ، وكان على (هافلر) أن يختارَ من الأميراتِ العروسَ التي يفضلها أكثر من غيرها ، كانت الأميراتُ الثلاثُ في غاية الجمالِ وحسنِ الاخلاق لكنَّ الصغرى كانت تُحبُّه أكثر ، وكانَ هو أيضاً يُفضلها على أخواتها .

لكنَّ (هافلر) كان يُحسُّ بحزنٍ غريبٍ وبدا ذلك على مُحيّاه

فسألته الأميرات عما يُحزنه وهل ملَّ العيش معهنَّ فكان ردّه أنه سعيدٌ جداً معهنَّ وأنه يَوَدُّ أن يعيش هكذا دائماً فهو في راحةٍ وسعادةٍ تامة لو لا فراقه لأهله فهو مشتاقٌ لرؤيةِ أمه وأبيهِ ولابُدَّ أن يعودَ الى البيت .

واجمعت الاميرات على أن ذلك شيءٌ سهلٌ جداً وقلنَ له :

- ستذهب وتعودُ بأمانٍ إذا اتبعتَ نصيحتنا .

ووعدهنَّ (هافلر) أن لا يخالف ذلك أبداً .

وألبسته الأميرات ثياباً من أفخر الثياب فبدا كالأمراء وأعطينه خاتماً وضعه في أصبعه ، وكان هذا الخاتمُ سحرياً يمكنه من الذهاب الى أيّ مكانٍ يريد بمجردِ أن يطلبَ ذلك . لكنهنَّ طلبنَ منه أن لا يرمي الخاتم من يدهِ أبداً وأن لا يذكر أسماءهن على لسانهِ لأنه إن فعلَ سيفقد كلَّ بهائهِ وجلالهِ ولن يراهُنَّ ثانية .

وذكر (هافلر) أمنيته المطلوبة :

- لو أنني الآن في البيت .. أو لو أن البيت هنا !

وما كادَ ينطقُ الكلماتِ الاخيرةَ حتى وجَد نفسه أمام بابِ بيتهم . كان الظلام قد بدأ يخيمُ ودخل (هافلر) البيتَ فرحاً ، لكنَّ والديهِ حين شاهدا الشاب الغريبَ البهي يدخلُ البيتَ سيطرَ عليهما الذهول ولم يفعلا شيئاً غير الانحناء وأداء التحية باجلالٍ واحترام .

وطلب (هافلر) منهما أن يسمحا له بالمبيت عندهما لكنهما قالا له :

– اننا لا نستطيع أن نقدمَ لك ما تحتاجه وما يليق بمقامك فنحن لا نملك الأشياء الضرورية لسيد عظيم مثلك ، ومن الأفضل أن تذهبَ الى المزرعةِ الكبيرة حيث يوجد كلّ شيءْ .

لكن (هافلر) صمّم على البقاء في البيت في حين أصرَّ والداه على رأيهما إذ طلبا منه أن يذهبَ الى المزرعة حيث يتوفرّ طعامٌ جيدٌ وشرابٌ جيد وفراش جيد في حين لا يُوجدُ في بيتهما كرسيٌ يجلسُ عليه .

قال هافلر :

– كلاّ .. سأبقى هنا حتى صباح الغد ، أستطيع الجلوس على الأرضُ ولم يستطع العجوزانِ أن يقولا شيئاً ازاء ذلك الإصرار ، وجلسَ هافلر على الأرض وبدأ يعبثُ بالرمادِ كما كان يفعلُ سابقاً ، حين كان يقضي وقته بكسل ، وتحدّث الثلاثةُ عن أشياء عديدةٍ وأخبره والده عن حياتهما وكيفَ تسيرُ من دون أن يعرفاه – وأخيراً سألهما إن كان لهما أيُّ طفلٍ فقالا له أنه كان لهما ولدٌ يدعى (هافلر) وأنهما لا يعرفان أين ذهب كما لا يعرفان إن كان قد مات أو أنه ما زال حياً . وسألهما هافلر :

– أيمكن أن أكون أنا إياه ؟

قالت المرأة العجوز :

– أستطيع أن أميزه جيداً ، لقد كان إبننا (هافلر) كسولاً مهملاً وكان رثّ الثيابِ حتى أن الخروقَ في ثيابه كانت تتصلُ الواحدة بالأخرى ، إن فتى مثله لا يمكن أن يتحوّل الى رجلٍ مهيبٍ مثلك يا سيّدي .

بعد ذلك ذهبت العجوزُ لتحريكِ النار في الموقد وعندما أضاء اللهبُ وجه (هافلر) كما كان يحدث في الأيام الماضية عندما كان يجلسُ وينكشُ الرماد عرفته أمهُ فصاحت بدهشةٍ ممزوجةٍ بفرح غامر :

– يارحمة السماء ! أهذا أنتَ يا هافلر؟ وحلت سعادةٌ لا حدودَ لها على الزوجينِ العجوزين . وجلس (هافلر) يروي لوالديه ما حدث له منذُ أن غادرهما ، وبلغ من سرورِ والدتهِ أنها أصرت على أن تأخذه في الحال الى المزرعة لتريه للفتياتِ اللواتي كنَّ يسخرنَ به ويضحكن منه . وذهبت العجوزُ أولاً وأخبرتهنَّ كيف أنَّ (هافلر) عادَ وكيفَ يبدو كأميرٍ مهيب . وقالت الفتياتُ وهنَّ يملنَ برؤوسهن :

– سنرى إن كان ما يزال ذلك الفتى المهمل الرث الثياب الذي رأيناه من قبل .

وفي تلك اللحظةِ دخل (هافلر) فدهِشت الفتياتُ وبَهرَهُنَّ مظهره الجليلُ المهيبُ ولم تستطع واحدةٌ أن تنبسُ ببنتِ شَفَة كما لم تستطع أيٌّ منهن أن ترفع عينيها لتنظر إليه فقد تذكرنَ كيف كنَّ ينظرنَ اليه سابقاً بتكبرٍ واستهزاء . وقال هافلر :

– أي ، أي ! لقد كانت كلٌّ واحدةٍ منكنَّ ترى نفسها جميلةً وأنيقةً لا تساويها غيُرها من الفتيات ، ولكن لو رأت إحداكنَّ الأميرة الكبرى التي أنقذتها أنا لعرفت أنها ستبدو كالراعيةِ البسيطةِ مقارنةً بها ، والأميرة الوسطى أجمل آلاف المرات منكن ، أما الصغرى التي أحبها وتحبني فهي أجملُ من القمر

وأبهى من الشمس . أتمنى أن تكون الاميرات هنا الآن لترينَ كم هُنَّ جميلات ساحرات .

وهنا ذكر (هافلر) أسماء الأميرات . وما كادَ يفعلُ ذلك حتى وجد الاميرات واقفاتٍ أمامه ، لكنه شعرَ بأسفٍ شديد فقد تذكر ما أوصَينه به قبلَ مغادرتهِ للقلعة .

وأعدّت في المزرعة وليمةً كبيرةً للاميراتِ لكنهنَّ قرّرن الانصراف قائلاتٍ لهافلر :

– نريدُ أن نرى والديكَ وبيتكم ونتجول في تلك المنطقة . وتبعهنَّ هافلر الى خارجِ المزرعةِ حتى وصلوا الى حوضِ ماء كبير ، وعند إحدى الضفاف الخضر الجميلة قرّرت الأميراتُ الجلوس مدة للتمتع بمرأى المياه الجارية . وجلسنَ هناك قليلاً ، وبعد مدة قالت الأميرةُ الصغرى :

– أتحبُّ يا هافلر أن أمشّطَ لكَ شعرك ؟

ووضع (هافلر) رأسه في حجرها فبدأت تمشّطُ له شعره ، ولم يمض وقتٌ طويلٌ حتى غطَّ في نومٍ عميقٍ فأخذت الأميرةُ خاتمه من يدهِ ووضعت بدلاً منه خاتماً آخر ثمَّ قالت لأخواتها :

– امسكنَني كما امسككن ، أودُّ أن نكون في قلعةِ (سوريا موريا) . وعندما استيقظ (هافلر) وجد نفسَه وحيداً وعرفَ أنه فقد الأميرة المحبوبة وأخواتها وصار ينتحب ويبكي ولم ينفع شيْ لتهدئته . ورغم توسلات والديه والحاحهما على بقائه معهما قرّر هافلر الرحيل فوراً وودعهما قائلاً انه اذا لم يعثر على الأميرة مرة أخرى فأنَّ الحياة لن تساوي شيئاً في نظره بعد ذلك .

كان لدى (هافلر) بعضُ النقودِ التي يضعها في جيبهِ وكان يحملُ حقيبته معه ، وفي الطريق التقى رجلاً يركبُ فرساً جيدة نوعاً ما ، ورغب هافلر في شرائها و بدأ يساومُ الرجلَ في ثمنها فقال له الرجل :

– حسناً ، لم اكن أفكر في بيعها تماماً ، ولكن ربما نتفق على ثمن مناسب وسأله هافلر عن الثمن الذي يريده فقال :

– أنا في الحقيقة لم أدفع فيها مبلغاً كبيراً ، وهي لا تساوي كثيراً ، أنها فرس ممتازة في الركوب ، لكنها ليست جيدة للسحب ، وهي على العموم تستطيع حملَ حقيبتك ، وحملك أيضاً اذا ركبتَ مدة قصيرة وسرت مدة أخرى .

وأخيراً اتفقا على ثمن مناسب ، ووضع هافلر حقيبته على ظهرِ الفرس وأنطلق في طريقه راكباً مرة وراجلاً مرة أخرى ، وفي المساء وصل الى حقلٍ اخضر تتوسّطه شجرةٌ كبيرةٌ ، فجلس تحتها ، ثمَّ اطلق الفرسَ بعد أن أنزلَ عن ظهرها حقيبته وتمدّد تحت الشجرة لينام . وعند الفجر انطلقَ من جديد فلم يكِن يشعرُ برغبةٍ في الراحة التي تؤخّره عن مسعاه . وقضى اليومَ بطوله سائراً أو راكباً خلال غابة عظيمة حيث الأراضي الخضراء الزاهية تلتمعُ من بين الأشجار العاليةِ المتشابكة ، ولم يكن يعرفُ غالباً أين هو والى أين يتجه لكنه لم يكنْ يتوقف في مكانٍ اكثر من الوقت المطلوب لتناول فرسه بعض الحشائش وتناوله هو بعض الطعام من حقيبته .

واستمرَّ يسيرُ تارةً . ويركبُ تارة أخرى حتى بدا له أنَّ الغابةَ

لا تنتهي أبداً . لكنه في مساء اليوم الثاني أبصَر ضوءاً يشعّ من خلال الأشجار وتمنّى هافلر أن يجد أناساً قُرب ذلك الضوء .

عندما وصل الى حيث الضوء رأى خوخاً صغيراً بائساً ، وخلال لوح زجاجي صغير رأى زوجين عجوزينِ في داخل الكوخ ، كان الزوجانِ طاعنين في السنّ وكان لهما شعرٌ رماديٌ شاحب ، وللمرأةِ أنفٌ طويلٌ جداً بحيث كانَت تجلس في زاويةِ البيت وتستعمله لتحريك النار في الموقد . ودخلَ (هافلر) الكوخَ وأدّى التحيّة للزوجين ، وأجابته المرأة :

– مساء الخير أيها الفتى ، أيُّ أمرٍ مهمٌ جاء بك الى هنا ؟ لم يصل إلى هذا المكانِ أنسانٌ عاديٌ منذ مئات السنين .

وأخبرها هافلر أنه يريدُ الوصولَ الى قلعة (سوريا موريا) وسألها إن كانت تعرفُ أينَ تقع تلك القلعةُ . فأجابته العجوز :

– كلا .. هذا ما لا أعرفُه ، ولكن حينَ يأتي القمرُ فسوفَ أسأله ، ولا بُدَّ أنه يعرفُ ، إنه يشرفُ على كلِّ شيْ .

وهكذا عندما وقفَ القمرُ مشعّاً منيراً فوق قمم الأشجار سألته العجوز قائلة :

– يا قمر ، يا قمر ، يامَن يشرقُ على المروجِ والشجر ، كل الحيوان والبشر ، أتعرفُ الطريقَ الى قلعةِ (سوريا موريا ؟) .

– كلاّ ، هذا ما لا أعرفُه ، فعندما أشرقت هناك حجبت نظري غمامةٌ سوداء قالت العجوز لهافلر :

– عليك اذن أن تنتظرَ الريحَ الغربية فهي تعرفُ الطريق الى القلعةِ حتماً إنها تهبُّ في كلّ زاويةٍ من زوايا الأرض .

وعندما رأت فرسَ هافلر قالت له :
- ما هذا ؟ ألديك فرسٌ أيضاً ؟ دع المخلوقَ المسكين يرعى في حقلنا أطلقها ولا تدعها واقفةً هناك مقيّدةً وجائعة . ولكن ألا تبادلها معي ؟ إن لدينا زوجاً من الأحذية القديمة تستطيع بها أن تسير أربعة أميالٍ في كلّ خطوة ، وسوف تحصلُ عليهما لقاء فرسك هذه وبهما تستطيعُ أن تصلَ سريعاً الى قلعةِ سوريا موريا .

وافق (هافلر) على ذلك الاقتراح في الحال وفرحت العجوز بالفرس فرحاً لا يوصف فقد كانت تتوقُ منذُ زمنٍ بعيد الى الحصول على فرس لجرّ عربتها ولم يكن (هافلر) يستطيعُ الانتظار وأرادَ أن يسيرَ في الحال لكنَّ العجوزَ قالت له :
- لا داعي للعجلة ، استلقِ على هذه المصطبة ونمْ قليلاً وسأراقبُ أنا وصولَ الريح الغربية .

وبعد زمنٍ جاءت الريح الغربية تزأرُ عالياً حتى قرقعت الجدران وخرجت العجوزُ من الكوخ وصاحت :
- أيتها الريحُ الغربيةُ ، التي تهبُّ على كلّ نواحي الأرض ، أتعرفين الطريق الى قلعة سوريا موريا ؟ هنا شخصٌ يريدُ الذهابَ الى هناك، أجابت الريحُ الغربية :
- اجل أعرفها جيداً ، فأنا الآن في طريقي الى هناك لأجفّفَ الثيابَ للعرس المرتقب ، فإذا كان سريعَ القدم فسوف يتمكن من الانطلاق معي .

وركضَ (هافلر) مع الريح ، وهبّت الريحُ على التلالِ

والوديانِ ، على البطاحِ والمستنقعات ، على الجبال والمراعي ، وهافلر يركضُ معها ولا يتأخر عنها أبداً وأخيراً قالت له الريحُ الغربية :

– حسناً ، والآن ليس لديَّ وقتٌ أضيعه معك أكثر ، عليَّ أن أذهبِ أولاً لكسرِ بعض أغصان الشجر قبل أن أذهب الى الأرضَ البيضاء لأجفّف الملابس المنشورة . واذا سرتَ أنتَ بجانبِ التلّ فسوفِ تجدُ بعضَ الفتياتِ يغسلنَ الملابسَ وبعد ذلك لن تحتاجَ الى السير طويلاً لتصلَ الى قلعةِ سوريا موريا .

وبعد قليلٍ وصلَ (هافلر) الى الفتيات اللواتي يغسلنَ الملابسَ وسألنه إن كانَ قد رأى الريحَ الغربيةَ التي تأتي لتجفّيفَ ملابس الزفاف وأجابهنَّ هافلر :

– أجل ، لقد ذهبت فقط لتكسّر بعضَ أغصان الأشجار وسوف تصلُ الى هنا قريباً .

وسأل (هافلر) الفتياتِ عن الطريقِ الى قلعةِ سوريا موريا فأخبرنَه .

وأخيراً وقفَ (هافلر) أمام القلعة ، كانت مزدحمةً جداً وتكادُ تغصُّ بالبشر والجياد ، لكن (هافلر) كان مُنهكاً وممزَّق الثياب من متابعة الريح خلال الاحراش والأوحال فلم يستطع أن يخترقَ الجموعَ وانتظر حتى اليومِ الأخير حيث تقامُ الوليمةُ الكبرى عند الظهيرة .

وكما هي العادة شربَ الجميعُ نخب العروسِ والفتياتِ الشاباتِ اللواتي حضرنَ الى الحفلة ، وملأ الساقي الكؤوسَ لكلّ

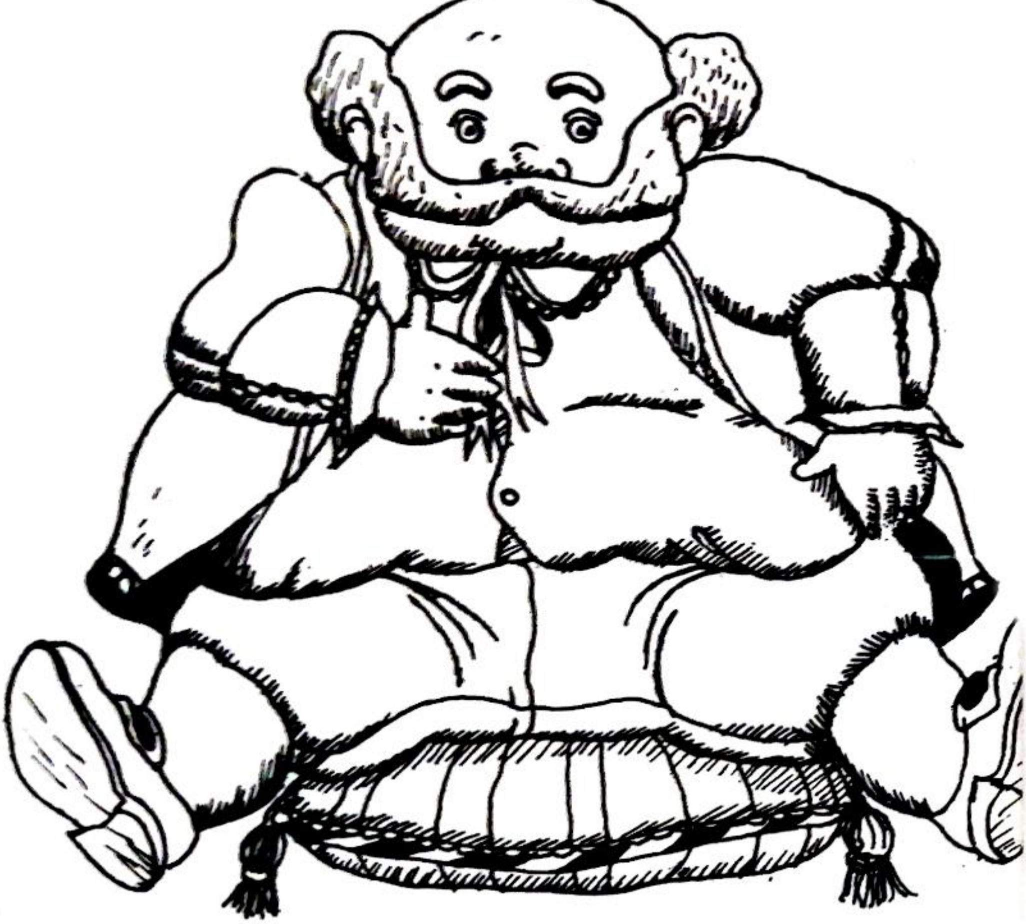
واحدٍ من الحضور ، بدأ أولاً بالعريس والعروس ، ثم انتقل الى الفرسان والمساعدين وأخيراً ، بعد وقت طويل وصل الى (هافلر) ، وشربَ نخبهم ، ثم أسقطَ الخاتمَ الذي ألبسته إياه الأميرة عند البحيرة ، في الكأس وأمرَ الساقي أن يحمِلَه الى العروس ويحييها بأسمه .

وبعد ذلك ، وبينَ دهشةِ الحاضرين ، قامت الأميرةُ في مكانها وقالت بصوت واضح النبرات :

- مَن الذي يستحقُّ أن يتزوجَ واحدة منا ؟ أهو الذي أنقذنا من الوحوشِ المتعدّدة الرؤوس ، أم الذي يجلس هنا كعريس ؟ ولم يكن لدى الحاضرين إلا رأيٌ واحدٌ ، وحين سمعَ (هافلر) ما قالوه لم يتأخر عن خلعِ الأسمال التي يرتديها ليلبس بدلاً منها ثيابَ العرسان وصاحت الأميرة الصغرى حين رأته : أجل ، ذاك هو منقذُنا .

وهكذا عُقِدَ قِرانُ هافلر عليها وسطَ فرحةِ الجميع .

الكنار المسحور



فيما مضى من الزمان عاشَ في أراضي الملك (كامبر نيوس) في منطقة (افسنس) أحد لورداته ، وكان بديناً على نحوٍ لا يصدق ، كان أسمن مَن وجدَ على أرض الفلاندرز -كلّها ، كان يأكلُ خمس وجباتٍ في اليوم وينامُ أثنتي عشرة ساعة ولم يكن يفعلُ شيئاً غير اصطياد الطيور الصغيرة بالقوس والسهام .

ورُغم كثرةِ ممارسته لذلك العمل فلم يكن بارعاً فيه ، كان ثقيلاً جداً ، وفي كلّ يومٍ كان يزدادُ بدانةً وثقلاً حتى أضطرَّ أخيراً الى التخلي عن المشي فصار يُسحبُ وهو جالسٌ على كرسيٍّ ذي عجلات . وكان الناسُ يتندّرون بحالته تلك وأطلقوا عليه اسم (اللورد برميل) .

كان (اللورد برميل) خاليَ البال إلا من مشكلةٍ واحدة ، كان له ابنٌ يحبُّه كثيراً ، ولم يكن هذا الابنُ يشبهه أبداً فقد كان نحيفاً كطيرِ الوقواق. وكان ما يكدّرُ الأبَ أكثر من أيّ شيْ هو أنَّ أبنه هذا – ورغم أن كلَّ الشابات في أراضيهِ كنَّ يبذلنَ ما في وسعهنَّ لجعلهِ يقع في حُبّهن – لم يكن يرغب في الحديثِ مع أية فتاةٍ وكان يقولُ لأبيه أنه لا يريدُ الزواج. وبدلاً من الثرثرةِ مع الفتياتِ في الأمسياتِ كان يتجول في الغاباتِ ويهمسُ للقمر . فلا عَجَبَ أنَّ الفتيات كنَّ يعتبرنه شخصاً شاذاً، لكنه كان محبوباً بسبب شذوذهِ وغرابتهِ أيضاً ، ولأنه دُعيَ عند ولادته (ديزاير) فقد دعاه الجميعُ ديزاير الولهان .

كان والده يقولُ له دائماً :

– ما حكايتُك يا ولدي ؟ أنَّ لديكَ كلَّ ما ترغبُ فيه ، منام جيّد ، طعامٌ جيّد ، وأثاث من أفخر الأنواعِ ، الشيْ الوحيد الذي ينقصُك لكي تصيرَ سميناً مثلي هو الزوجةُ التي تستطيعُ أن توصلكَ الى برّ الأمان ، فتزوج يا ولدي ، وسوف تكون في منتهى السعادة .

وكان ديزاير يردُّ عليه قائلاً :

- لست أطلب شيئاً أفضل من أن أتزوج ، ولكني لم أجد حتى الآن المرأة التي تُسعدني ، كلُّ النساء هنا شقراوات وأنا لا أحبُّ شكلهن. صاحَ اللورد برميل : يا إلهي !

- أبتي ، لا بُدَّ أن هناك نساءً في مكانٍ من العالم لسنَ شقراواتٍ وأنني أعلمكَ وللمرةِ الأخيرة أنني لن أتزوجَ أبداً الا الفتاة التي تعجبني .

وبعد ذلك بزمنٍ أرسل رئيسُ دير (سانت أماند) الى لورد أفسنس سلَّة برتقالٍ مصحوبة بورقةٍ مكتوبة بخطٍّ جميلٍ تقول أن تلك البرتقالات الذهبية - التي لم تكن معروفةً في أرض الفلاندرز - جاءت مباشرةً من أراضٍ تشرقُ الشمسُ فيها دائماً .

في ذلكَ المساء تناولَ (البرميل) وابنُه البرتقالاتِ الذهبيةَ في العشاء فوجداها شهيةً لذيذة .

وفي صباح اليوم التالي ، ومع أولِ خيوطِ الشمس توجّه ديزاير الى الاصطبل وأسرجَ جوادَه الأبيضَ الجميل . ثمَّ ذهبَ الى حيث سرير والده وهو يلبسُ ثيابَ السفر فوجده يُدخّنُ غليونَه الصباحيّ الأول فقال له بصوتٍ جادٍ :

- أبتاه : لقد جئتُ لأودّعك . حلمتُ ليلةَ أمسِ أنني كنتُ سائراً في غابةٍ تتلألأ على أشجارها برتقالاتٌ ذهبيةٌ فقطفتُ واحدةً منها . وعندما فتحتُها خرجت مَنها أميرةٌ رائعةُ الجمالِ ذاتُ بَشَرةٍ ذهبيةِ اللون تلك هي زوجتي التي أريدُها ، وسأذهبُ لأبحثَ عنها .

دُهشَ اللورد دهشةً عظيمةً حتى أنَّ غليونه سقط الى الأرض ، ثمَّ وجدَ الفكرةَ مسليةً جداً ، أن يتزوَّجَ ابنه أمرأةً من داخل برتقالة ، وانفجرَ بضحكةٍ مدوّية !

وانتظر (ديزاير) أن يهدأ والدُه ليودِّعه ، ولكنَ حين استمرَّ في الضحك ولم تبدُ أيَّةُ علامةٍ على أنه سيتوقَّف عن القهقهةِ تناولَ الشابُ يَدَه وقبلها باحترامٍ ثمَّ فتح البابَ ، وفي غمضةِ عينٍ كان قد غادرَ المكان . قفزَ الى ظهرِ جوادهِ بخفّةٍ ورشاقةٍ وابتعدَ أكثر من ميلٍ عن المنزل قبل أن يتوقَّفَ اللورد برميل عن الضحك . وحين تمكَّنَ أن يتكلَّمَ صاح بصوتٍ عالٍ :

- زوجةٌ ذهبيةٌ ! لابُدَّ أنه مجنون ! أيّها الرجال ، أسرعوا ! أعيدوه إليَّ ! أعيدوا إليَّ ولدي !

أسرجَ الخدمُ خيولَهم وانطلقوا في أثر الأمير لكنهم جميعاً ساروا في طريقٍ غير التي سارَ فيها ، ولم يدركه أحدٌ منهم ، وبدلاً من أن يعودوا به ، عاد كلٌّ منهم عند حلولِ الظلام ، عادوا بخيولٍ مُتعبةٍ مغطّاةٍ بالتراب. وعندما تيقّن ديزاير أن أحداً لن يتبعه بعد ذلك راحَ يسحبُ جواده ماشياً كما يفعلُ الرجلُ الخبيرُ الذي يعرفُ أنه مقبلٌ على سفرٍ طويلٍ . واستمرَّ مسافراً عدة أسابيع ماراً بمدنٍ وقرى عديدة قاطعاً الوديانَ والجبال والسهول لكنه كان دائماً يتجه الى الجنوبِ حيث تزدادُ الشمسُ إشراقاً وحرارةً كلّ يوم .

وذات يوم عند الغروب شعر (ديزاير) أن الشمسَ ساطعةٌ وأن أشعتّها مُحرقة أكثر منها في أيّ مكانٍ آخر فأدرك ا نه قريبٌ

من المكانِ الذي حلم به وكان في تلك اللحظة قريباً من طرفِ غابةٍ حيث يوجدُ كوخٌ صغيرٌ وأمامَ بابِ الكوخ توقَّفَ جوادُه باختياره ، وكان رجلٌ عجوزٌ ذو لحيةٍ بيضاء جالساً عند العتبةِ يستمتعُ بشمّ الهواء العليل . وترجَّلَ الأميرُ عن جوادهِ وطلبَ من الرجل أن يسمحَ له بنيلِ قسطٍ من الراحةِ عنده ، فقال الرَّجُلُ :

– تفضّل يا صديقي الشاب ، ليس بيتي كبيراً ، لكنه يكفي لاستقبال مسافرٍ غريب .

ودخل (ديزاير) الكوخَ ووضعَ مُضيّفُه أمامه وجبةً بسيطةً ، وبعد أن نالَ من الطعامِ كفايته قال له العجوز :

– إذا لم أكن مخطئاً فأنتَ مقبلٌ من مكانٍ بعيدٍ ، فهل لي أن أسأل الى أين أنت ذاهب ؟

– حسناً ، سأخبركَ رغم أنكَ ستضحكُ منيّ حتماً ، لقد رأيْتُ نفسي في المنام أسيرُ في مكانٍ مملوءٍ بأشجارِ البرتقال فقطفتُ برتقالةً وجدتُ فيها حين فتحتُها أميرةً جميلةً هي زوجتي التي أتمنّاها ، وقد جئتُ الى هنا أبحث عنها .

– ولماذا أضحكُ منك ؟ الجنونُ لدى الشبابِ هو عينُ الحكمة . اذهب أيها الشاب ، سِرْ وراء حلمك ، اتبعه أينما يكون ، وإذا لم تجد السعادة التي حلمتَ بها فسوفَ تجد السعادةَ في البحثِ عنها .

في اليوم التالي استيقظَ الأميرُ مبكّراً وذهبَ ليودِّعَ مُضيّفه فقالَ له الرَّجُلُ العجوز :

– المكانُ الذي حلمتَ به ليس بعيداً من هنا ، أنه في أعماق هذه الغابة . وهذا الطريقُ سيوصلك إليه ، ستجدُ أرضاً فسيحةً محاطةً بجدرانٍ عاليةٍ ، وفي وسط الفسحةِ قلعةٌ تسكُنها ساحرةٌ مخيفةٌ لا تسمحُ لأيِّ مخلوقٍ حي بدخول الأبواب . وخلف القلعةِ بستانُ البرتقالِ ، تتبع السياجَ حتى تصلَ الى بوّابةٍ حديديةٍ ثقيلة . لا تحاول فتحها بل زيّت المفاصلَ بهذا .

وأعطاه العجوزُ زجاجةً صغيرةً واستمرَّ قائلاً :

– حينذاك ستفتحُ البّوابةَ وحدها وسيخرج اليك الكلب الكبير الذي يحرس البوابة وهو مكشرٌ عن أنيابهِ وما عليك عمله حينذاك هو أن ترمي اليهِ هذه الفطيرةَ المصنوعةَ من الشعيرِ . بعد ذلك سوفَ ترى أمرأةً منكبّةً على فُرنها المشتعل وعليك أن تعطيها هذه الفرشاة. وأخيراً ستجدُ بئراً الى يسارك فلا تنسَ أن تأخذَ حبلَ الدلو وتنشره في الشمس . بعد أن تفعلَ ذلك لا تدخل القلعةَ بل سِرْ حولَها وادخل بستان البرتقال . ثمَّ اقطف ثلاثَ برتقالاتٍ وعُدْ الى البّوابة بأسرع ما تستطيع . وحالما تصبحُ خارجَ البوابة غادر الغابَةَ من الناحيةِ الأخرى .

والآن انتبه الى هذا ، مهما حدثَ لا تفتح برتقالاتك حتى تصلَ الى شاطئِ نهرٍ أو نبعٍ . ومن كلّ برتقالةٍ ستخرجُ أميرةٌ ويمكنكَ اختيار الزوجةِ التي تريدُها . وحالما تحدّد اختياركَ حاذِر أن تتركَ عروسكَ لحظةً واحدة ، وتذكّر أن الخطَر الأكبرَ هو الخطرُ الذي لا نفكّر فيه لا الخطر الذي نخافُه اكثر .

شكر (ديزاير) الرَّجُلَ العجوزَ بحرارةٍ وسلكَ الطريقَ الذي

حدّده له . وفي أقل من ساعةٍ وصلَ الى الجدارِ الذي كانَ عالياً حقاً . قَفَز من على ظهرِ جواده وربطه الى شجرةٍ ، وبسرعةٍ وجدَ البوابةَ الحديديةَ فأخرجَ الزجاجة وزيت مفاصل البوابة . وعندما فتحت البوابةُ وحدها ورأى القلعة القديمة أمامه دخل بشجاعةٍ الى فنائها .

وفجأة سمعَ نباحاً حاداً ، وأقبل نحوه كلبٌ يقاربُ الحمارَ حجماً له عينان مثل كراتِ البليارد وهو مكشرٌ عن أنيابٍ كشعاب الشوكة . وأسرع (ديزاير) فرمى له الفطيرةِ فأبتلعها الكلبُ الهائلُ في التوّ وعبره الأميرُ الشاب بهدوء .

وبعد بضعِ ياردات رأى الأميرُ فُرناً عظيماً يتوهّج اللهبُ من فتحتهِ الكبيرة ، وأمامه أمرأةٌ طويلةٌ كالعمالقةِ منكبة عليه فأعطاها الفرشاةَ التي تناولتها منه من دون أن تقول شيئاً .

ثم ذهبَ الى البئرِ وسحبَ الحبلَ الذي كان نصفَ بالٍ ونشره في الشمس وأخيراً دارَ حولَ القلعةِ ودخل بستانَ البرتقالِ حيث قطفَ أجملَ ثلاثِ برتقالات استطاعَ أن يجدها واستدار ليعود الى البوابة .

ولكن في تلك اللحظة كانت الشمسُ قد مالت للمغيب ، واهتزّت الأرضُ ، وسمعَ (ديزاير) صوتاً مهولاً يصيح :

– أيتها الخبازة ، أيتها الخبازة ، أمسكي به من قدميهِ وارميه في الفرن !

لكن الخبّازة ردّت على الصوتِ قائلة :

– كلا ! لقد مرَّ عليَّ زمنٌ طويلٌ منذ بدأتُ بتنظيف هذا الفرن بيديَّ هاتين ، ولم يحفل أحدٌ بأن يُعطيني فرشاةً استعملها بدلاً منهما ، ولكن هذا الشاب أعطاني ما أحتاجُه فعلاً ولذا سأتركه يمرُّ بسلام .

وصاح الصوتُ مرةً أخرى :

- ياحبل ، ياحبل ، لفَّ نفسكَ حولَ رقبتهِ واشنقه حتى يموت ! وردَّ الحبلُ قائلاً :

- كلا ! لقد تركتني عدة سنوات مضت تتلفني الرطوبةُ وتقطعني ، لكنه نشرني في الشمس وخلّصني من البلى ، لذا سأتركه يمرُّ بسلام وصاح الصوتُ بغضبٍ شديد :

- أيها الكلبُ ، يا كلبيَ العزيز ! إقفز عليه وانهشْ رقبتهَ ، وأقتله بسرعة .

وردَّ عليه الكلبُ :

- كلا ! رغم أنني خدمتك تلك المدة الطويلة فأنك لم تُعطني قطعةَ خبزٍ واحدة ، أما هو فقد أعطاني ما أشبعني ، لذا سأتركه يمرُّ بسلام وصاح الصوتُ وهو يهدرُ كالرعد :

- أيتها البوابة الحديدية ، أيتها البوابة الحديدية ! أسقطي فوقه واسحقيه سحقاً ، حطّمي عظامه واهرسيها .

لكن البوابة ردّت :

- كلّا ! لقد مرّت عليَّ مئةُ سنةٍ منذ تركتني ليأكلني الصدأ وهو الذي زيّتني لذا سأتركه يمرُّ بسلام .

وهكذا غادر المغامرُ الشاب سالماً ووضعَ البرتقالات في كيسٍ كان يتدلّى من سرجِ جواده ثم امتطى جوادَه وانطلق خارجاً من الغابة .

وهكذا سار الأميرُ وقلبه يخفق شوقاً لرؤيةِ الأميراتِ . كان يتمنى أن يصلَ الى نهر أو نبع ليفتح عنده البرتقالات،لكنه رغم سيره عدة ساعات لم يشاهد نبعاً ولا نهراً . وقلبه يزدادُ شوقاً للحظة السعيدة ، ولشدة

شوقه أحسَّ أن هذا الوقت هو أصعب وقتٍ مرّ به في غضون الرحلة وان مخاطرته كلَّها لا تعادل هذا الشوقَ المضني . لكنه رغم ذلك تصبّر وقاومَ شوقه الغامر .

وعند منتصف النهار وصلَ (ديزاير) الى سهلٍ رمليّ يتوهّج تحت أشعة الشمس ، وأحسَّ بعطَشٍ مُحرق ، تناولَ زجاجةَ الماء التي يحملها ورفعها الى شفتيه ، لكنها كانتْ خاليةً تماماً ، لقد نسيَ أن يملأها ، وهكذا ركبَ جوادَه وسار بهِ وهو يُعاني العطشَ الشديد واستمرَّ مدة يقاومُ العطشَ لكنه أخيراً فقد كلَّ قدرةٍ على المقاومة ، فانزلق عن جواده الى الأرض واستلقى بجانبِ الجواد لاهثاً محترقَ الجوفِ خافقَ الصدر شاردَ اللب . وأحسَّ أن الموتَ يدنو منه وأنه لن يلبث أنَ يفقد الحياة ، وبينما هو على هذه الحال وقعت عيناه على الكيس الذي تبدو منه البرتقالاتُ يانعةً طرية . يالديزاير المسكين ، كم خاطر بحياتهِ من أجل أن يفوزَ بفتاةِ أحلامه ، أنه الآن مستعدٌ للتضحيةِ بكل أميرات العالم ، شقراوات كن أم ذهبيات البشرة مقابلَ قطرةٍ واحدةٍ من الماء .

وقال لنفسه : آه .. لو أن هذه البرتقالات ثمرات حقيقية ! لو أنها شهية مثل تلك التي أكلتها في أرض الفلاندرز ! وعلى أية حالٍ ، فربما تكون مثلها فعلاً ! ومنحته تلك الفكرةُ بعضَ القوة ، واستطاع أن يرفعَ نفسه بصعوبة ويتناول إحدى البرتقالات ويشقّها بسكينه ، وقال الطيرُ الذهبي الصغير :

– أعطني ماءً ، أعطني شيئاً أشربه ، فأنا أكادُ أموتُ من العطش وردَّ عليه ديزاير : انتظر قليلاً !

وبسببِ الدهشةِ والارتباكِ اللذين سيطرا عليه نسيَ عَطَشه هو ولم

يدرِ ماذا يفعل ، ولكي يُرضي الطيرَ الجميلَ أخذ برتقالةً أخرى وشقّها ليقدّمها للكنار . ومن هذه البرتقاله أيضاً خرج كنارٌ آخر وبدأ يصرخ : أنني أموت ظمأ ، أعطني شيئاً أروي به عطشي .

وهنا أدرك (ديزاير) فداحة الخطأ الذي ارتكبه ، وبينما طار الكناران مبتعدين ، استلق هو على الأرض مُنهكاً فاقدَ الوعي .

وعندما أفاق شعرَ بنداوةٍ وطراوةٍ عذبة تملأ المكان من حوله ، كان الوقتُ ليلاً والنجومُ تلتمعُ في السماء والأرض من تحته نديه بالطلّ. وأستعادَ وعيه شيئاً فشيئاً وأسرجَ جواده ، وعلى ضوء أول خيوط الفجر . رأى جدولاً يتراقصُ أمامه فشربَ منه حتى ارتوى .

ولم تواته الجرأةُ على فتح برتقالته الاخيرة ، وتذكر أنه عصى أوامر الرجلِ العجوزِ وفتح البرتقالتين قبل أن يرى الجدول . وفكر أن عطشه لم يكن إلا حيلةً من حيلِ العجوز الشريرة ، وماذا لو أنه حين يفتح هذه البرتقالة على ضفة النهر لا يجُد فيها الأميرة المنشودة ؟ كلّ تلك الخواطر مرّت بذهنه ، لكنه أخيراً عقد العزمَ وفتح بسكينه البرتقالة الثالثة . وياللخيبة خرج من البرتقالة كنارٌ ثالث ، وكما فعل الكناران الآخران راح الكنارُ يصرخُ طالباً الماء :

- أكاد أموت عطشاً . أعطني شيئاً أشربه .

ورغم حزن (ديزاير) قرر أن لا يدعَ هذا الكنار يفلتُ منه فأخذ بعض الماء في راحتيه وقرّبه من منقارهِ ، وما كادَ الكنارُ يشربُ قليلاً حتى تحوّل الى فتاة جميلةٍ ميّاسة القامة كغصنِ البان ، لها عينانِ سوداوان وبشرةٌ بلونِ الذهب ، لم يكن (ديزاير) قد رأى في حياتهِ مثلَ هذا الجمال ، ووقف ينظر اليها في بهجةٍ وسرور يشوبها العجبُ والدهشة .

أما هي فوقفت كالتائهة ، لكنها كانت تنظر حولها بعينين تملؤهما الغبطةُ والسعادةُ ولم تكن خائفةً من منقذها على الاطلاق .

وسألها الأميرُ عن اسمها فأجابت انها الأميرة (زيزي) . كان لها من العمر ستة عشر ربيعاً وكانت قد حُبست في تلك البرتقالة على شكل كنار عشر سنوات كاملة . وقال لها الأميرُ الشاب الذي كان يتحرّقُ شوقاً للاقتران بها :

– حسناً يا أميرتي الفاتنة زيزي ، هيّا بنا نغادر هذا المكانَ بأسرعِ ما يمكن لنهربَ من الساحرةِ الشريرة .

وأركبها معه على الجواد وانطلق به وهو يطوّقُ الأميرة بحنان عظيم . وكلما رأت الأميرةُ شيئاً جديداً سألته عنه، وأثناء سيرهما خلال الجبال والوديان والمدن والارياف سألته آلاف الأسئلة ، وكان (ديزاير) يردُّ عليها وهو سعيدٌ فليس أحبُّ الى الانسانِ من أن يعلّم من يحب . وسألته مرةً عن الستياتِ في بلدهِ فأجابها :

– إنهنَّ بيضاوات شقراوات ، ولهنَّ عيونٌ زرق .

وسألته الأميرةُ : وهل تحبُّ أنتَ العيونَ الزرق ؟

ووجد الأمير في ذلك فرصة ليكشفَ عما تكنه في قلبها فلم يجب . واستمرّت الأميرةُ تقول :

– ولا بُدَّ أن واحدةً منهنَّ هي زوجتك المختارة !

ولم يجب في هذه المرّة أيضاً فهزّت هي رأسها بكبرياء وصمتت ، فقال أخيراً :

– كلا ، لا تحلو في عيني أيُّ فتاةٍ من فتيات بلادي وهذا ما جعلني أبحثُ عن عروسٍ لي في بلاد الشمس الساطعة ، هل كنتُ مخطئاً في هذا يا

عزيزتي زيزي .

وهنا جاء دورُ الأميرةِ لتلتزمَ الصمت .

وعندما اقتربا من أبواب قلعةِ أبيه ، قال (ديزاير) لاميرتهِ المحبوبة :

– عزيزتي زيزي ، لا أظنُّ أننا نستطيعُ أن نتقدم أمامِ والدي كأي شخصين عائدينِ من نزهةٍ خلوية ، لأبُدَّ أن ندخلَ القلعةَ في موكبٍ مهيب ، انتظريني هنا ، وسأعودُ بعد ساعةٍ ومعي من الجيادِ والعرباتِ ما يليقُ بأميرةٍ مثلك .

ورجته الأميرةُ أن لا يتأخر كثيراً ووقفت تتأمّله وهو يغادرُ بعينين حالمتين .

وفجأةً سمعت خشخشةً بين الأشجار . وخشيت أن يكون ذلك صوتَ ذئبٍ أو حيوانٍ مفترس آخر فاختبأت في تجويف شجرة صفصاف كانت تتدلّى فوقَ النبع . كانت الشجرةُ كبيرةً وكان تجويفُها كافياً لاخفائها تماماً لكنها أطلت منه برأسها وآنعكست صورة وجهها الجميل على صفحة الماء الرقراق . وفي هذه اللحظة ذاتها ظهر لها ! لم يكن ذئباً . لكنه مخلوقاً بشعاً متوحشاً لا مثيل لبشاعته ووحشيته .

بالقُرب من ذلك النبعِ كانت تعيشُ عائلةٌ من الحجّارين ، وقبل خمسة عشر عاماً من ذلك الوقت عثر الوالدُ حين كان يتجوّلُ في الغابةِ على طفلةٍ صغيرة كان الغَجَرُ قد تركوها فأخذها الى زوجته التي ربتها مع

أولادها . ولما كبرت الطفلة غدت معروفةً بالقوة والشراسة والمكر أكثر مما عرفت بالجمالِ أو الذكاء ، كانت لها جبهة ضيّقةٌ وأنفٌ مفلطح وشفاه غليظة وكان شعرها خشناً أما بَشَرَتُها فكانت أبعد عن بشرةِ زيزي الذهبية ، لقد كانت بلونِ الطين . ولأنها كانت دائماً عرضة للتحرّش والمكايدة فقد نشأت عبوساً عصبيةَ المزاج دائمةَ الصراخ كفأرة الحقول لذا اعتاد الجميعُ على تسميتها (فأرة الحقول) .

كانت الفأرة تذهبُ غالباً لجلبِ الماء من النبع ولأنها كانت عنيدة وكسولة فقد كانت تكره هذا الواجب كثيراً . وكانت هي التي أفزعت الأميرة زيزي بظهورها أمامها وهي تحملُ على كتفها جرتها التي تحملُ بها الماء . وبينما كانت منحنية على النبع لملءْ الجرّة شاهدت صورةَ الأميرةَ المنعكسة على صفحة الماء وظنت أنها ترى وجهها فصاحت :

– لا بُدَّ أن هذه هي صورتي ، ياله من وجه جميلٍ ! كيف يقولون عني أنني قبيحة ؟ وهل يمكن أن تقومَ جميلةٌ مثلي بحمل جرارِ الماء ؟!
وكسرت فأرة الحقول جرّتها وذهبت الى البيت . وفي البيت سألها أبوها :
– أين جرتك يا فأرة ؟
– ماذا تظن ؟ الجرّة تذهبُ عدة مراتٍ الى النبع ، لكنها في احدى المرات لابُدَّ أن ..
– تنكسر ! هذا معقول ، حسناً خذي هذا الجردل فهو لا ينكسر .
وعادت فأرة الحقول الى النبع ، وانحت على الماء لتملأ الجردل فشاهدت وجه الأميرة مرة أخرى فقالت :

- كلا .. لن أكون دابةً يحمّلونها كما يشاؤون ، لن أنقل الماءَ أبداً ! ورمت بالجردلَ بقوةٍ فارتفعَ في الهواء وتعلّق بأحدِ أغصانِ شجرةٍ بلوط . وفي البيت أجابت والدَها حين سألها عن الجردل بأنها لاقت ذئباً فكسرت الجردل على أنفه . ولم يجادلها أبوها في ذلك لكنه تناول مكنسةً وضربها بها ضرباً أخمد غرورَها وعنادَها قليلاً ثم أعطاها عُلبةً نحاسيةً قديمةً وقال لها :

- اذا لم تعودي بهذه العلبةِ مملوءةً هذه المرّة فأن عظامَك ستعاني كثيراً بسبب ذلك .

وذهبت الفأرة مرةً ثالثة الى النبع وهي لا تجرؤ على مخالفةِ أبيها هذه المرة وانحنت على الماء وهي متأففة ضجرة ، ولم يكن من السهلِ ملءُ علبة النحاس فقد كانت كبيرةً ومدوّرة ولم تستطع الفأرةَ إدخالها في فوّهة البئر فكان عليها أن تحاول مرة أخرى . وبعد عدّة محاولاتٍ كلّت يداها ، وحين نجحت في ادخال العلبة في فوّهة البئر لم تقوَ يداها على حملها فأفلتت منها وسقطت في البئر .

كادت فأرةُ الحقول أن تبكي حينَ حدثَ ذلك وبدت التعاسةُ على وجهها فأكفهّرت ملامحه حتى أن الأميرة زيزي التي كانت تراقبها كلَّ تلك المدة - انفجرت في ضحكةٍ مدوّية .

وأدركت فأرة الحقول - حين شاهدت الأميرة - خطأها الكبيرَ وقرّرت منذ تلك اللحظة أن تأخُذَ بثأرها . وسألت الأميرة :

- ماذا تفعلين هنا أيتها المخلوقةُ الرائعة ؟

وأجابتها الأميرة : أنني أنتظر أميري .

وفي سذاجةِ البنتِ التي لا تعرفُ من أمور الدنيا شيئاً أخبرتها بكل القصّة من ألفها الى يائها .

كانت فأرةُ الحقول قد شاهدت الأميرَ يمرُّ من هناك عندما يذهبُ للصيدِ ولم يكن هو قد لاحظ وجودها إلا انها أعجبت بهِ كثيراً ، غير أنها كانت ترى أنه سيكونُ أفضل لو كان أبدنَ قليلاً .

وقالت الفأرةُ لنفسها «أوه .. هو اذن معجبٌ بالبشرةِ الصفراء ! ولكني أنا أيضاً صفراء البشرة ، وربما أجدُ طريقة ما ... ربما ..» ولم يمض وقتٌ طويلٌ حتى عثرت على الطريقةِ فقالت للأميرة :

– ما هذا ؟ سوف يأتونَ في موكبٍ عظيمٍ لاصطحابك الى القلعةِ ! هل ستقابلين كلَّ ذلك العدد من اللوردات والسيدات الرقيقات وشعرك محلول هكذا ؟ هذا غيرُ معقولٍ أبداً . أجلسي ياعزيزتي ودعيني أمشّط لك شعرك وأرتّبه ليكون لائقاً للموكب المهيب .

وجلست الأميرةُ المسكينةُ بين يدي فأرة الحقول غير عالمةٍ بما تخبئه لها هذه المخلوقةُ الخبيثة . وبدأت الفأرةُ تمشط لها شعرَها وترتّب خصلاته الطويلة الذهبية . وفجأة أخرجت الفأرةُ من حزامها دبوّساً وكما تغرزُ فأرة الحقولِ أنيابها في أجسادِ صغار العصافير والقبرات غرزته في رأس الأميرة البريئة . وحالما فعلت ذلك تحوّلت الأميرةُ الى طيرٍ من جديد ، ومدّت جناحيها

وطارت بعيداً .

وبدا الفرحُ الشيطانيُّ على وجهِ فأرة الحقول الشريرة وقالت بصوتٍ جذل :

- لقد تمَّ ذلك على أفضلِ وجه . سيكونُ الأميرُ ذكياً حقاً إذا استطاع أن يجدَ عروسه .

وبعد أن رتّبت فأرة الحقول ثيابها وتهيأت للقاء الأميرِ جلست على الحشائش تنتظر وصوله. وفي ذلك الوقت كان الأمير قادماً بأسرع ما يستطيع جواده أن يسيرَ وهو في أشدّ الشوقِ لهذا اللقاء حتى أنه كان يسبقُ موكبَ اللوردات والسيدات الذي أرسله والده اللورد برميل بأكثر من خمسين ياردا :

وكادت الدهشةُ أن تفقده صوابه حين شاهدَ الفتاة القبيحةَ التي تجلس في انتظاره وبادرته فأرةُ الحقول بقولها :

- أهلاً وسهلاً بأميري العزيز ! ما هذا ؟ ألا تعرفُ أميرتك المحبوبة زيزي ؟ بعد أن غادرتني جاءت الساحرة الشريرة وحولتني الى هذا الشكل . ولكن اذا كانت لديك الشجاعةُ الكافيةُ وتزوجتني فسوف أعود الى جمالي السابق .

وراحت تبكي بمرارة مفتعلة .

كان الأميرُ (ديزاير) ذو الأصل الرفيع رقيقَ القلبِ كما كان شجاعاً وقال لنفسه :

- ياللفتاة المسكينة ، لقد تحوّلت الى فتاةٍ قبيحةٍ وكلّ ذلك بسببي ، آه لماذا لم أتبع وصيّةَ الرجل العجوز ؟ لماذا تركتها

وحدها ؟ ومع ذلك فأنّ السحرَ لا يذهب عنها الا اذا بذلت ما بوسعي لأجل ذلك. وأنا أحبها الى حدّ يجعلني أبذل حياتي رخيصةً لانقاذِها مما هي فيه .

وهكذا قدّمها للسادةِ والسيداتِ الذين جاءوا لأستقبالها وحدّثهم عما حدث لها من مصيبة . وتظاهروا جميعاً بأنهم صدقوا قوله ، وألبستها السيداتُ الثيابَ الجميلةَ التي جئنَ بها للأميرة (زيزي) ثمَّ أسرجَ لها جواداً أبيض لطيفاً فركبت واتجهوا جميعاً الى القلعة . ولكن كلّ تلك الثياب الغالية والمجوهرات الثمينة لم تكن لتزيد فأرة الحقولِ الا قبحاً على قبحٍ. وشعر (ديزاير) بالحرجِ والخجلِ حينما دخل معها المدينة .

دقّت النواقيسُ وقرعت الأجراسُ وملأ الناسُ شوارعَ المدينة ووقف الكثيرون أمامَ أبواب بيوتهم يراقبون الموكبَ . ولم يستطع أحدٌ منهم أن يصدّقَ عينه وهو يرى العروسَ القبيحةَ التي اختارها أميرهم. ولكي يزيدَ احترامُ الأميرة ويعلو قدرها جاء اللورد برميل ليستقبلها عند مدخل القصر المرمري . وكادَ يسقطُ مغمى عليه حين رأى ذلك القبح والبشاعة البادية على عروس ابنه المنتظرة . وصاح بصوتٍ كالرعد :

– ماذا ! أهذا هو الجمالُ العجيب ؟ وردَّ الأميرُ بصوتٍ خجول :

– نعم ، يا أبتي . لكنها لم تكن في شكلها الحالي من قبل . لقد أصابها سحرُ ساحرةٍ شريرة ولن تستعيدَ جمالَها إلا بعد أن تصبح زوجتي . وردَّ عليه اللورد برميل غاضباً :

– أهذا ما تقوله هي ؟ حسناً ، اذا كنتَ قد صدّقت ذلك فأنك يمكن أن تشربَ ماءً وتظنَّ أنه زيت .

ورغم ذلك ، ولأنَّ اللوردَ كان يُحبّ ابنه كثيراً ، فقد أعطى يده لفأرةِ الحقولِ وقادها الى قاعةِ الاستقبال الكبرى حيث أقيمت حفلةُ الزفاف . وكانت الحفلةُ رائعةً ، وأكلَ جميعُ المدعوين من الطعامِ الشهي بنهم ، لكنَّ (ديزاير) لم يذق شيئاً ، أما اللورد برميل فليس هناك شيءٌ يمكن أن يُفسدَ شهيّته للطعام .

وحين جاء وقتُ تقديمِ البطّة المشوية حصلَ بعض التأخير ونالَ اللورد برميل فرصةً ليضَع ملعقته على المائدة بعض الوقت ، ولكن عندما تأخر وصولُ البطةِ المشوية وقتاً أطول أرسل اللوردُ كبيرَ المشرفين ليرى سببَ التأخيرِ في المطبخ .

أما ما حدث في المطبخ فهو أنَ البطّة حين كانت تُشوى على السّفود ، دخل المطبخ طيرُ كنارٍ صغيرٍ جميل ووقفَ عند النافذة وقال للرجلِ الذي كان يراقب البطّة بصوتٍ رخيم :

– صباح الخير أيها الطبّاخ الماهر .

وردّ عليه الطباخ :

– صباح الخير أيها الطيرُ الذهبي الرائع .

قال الكنار :

– أتمنّى أن تغرقَ في نومٍ عميقٍ وأن تحترقَ البطةُ حتى لا يبقى لفأرةِ الحقول شيءٌ .

وفي الحال غطَّ الطباخُ في نوم عميقٍ واحترقت البطّةُ حتى

صارت فحماً . وعندما استيقظَ الطَّباخُ فزِعَ كثيراً وطلبَ إحضار بطةٍ أخرى ليحشوها بالكستناء ويضعها على السَّفود مرة أخرى ، وبينما كان الطباخَ ينظر الى البطةِ أرسل اللورد برميل في طلبِ بطته المشوية مرة أخرى ، وذهبَ رئيس الطباخين بنفسه الى القاعة ليعتذرَ ويطلب من اللورد أن يصبرَ قليلاً . وأفرغ اللورد برميل غضبه ونفادَ صبرهِ على رأس أبنه :

– وكأن ما حدث لا يكفي (راح يقولُ وهو يكزُّ على أسنانِه غيظاً) الولد لا يختارُ إلا الشمطاء القبيحة ليتزوّجها وفوق ذلك تحترق البطة المشوية. ليست امرأة هذه التي تزوجتها ، لقد تزوّجَ المجاعةَ والقحط . وبينما كان رئيس الطباخين في القاعة يهدئ اللورد جاء الكنار الذهبي مرة أخرى ليقف على حافةِ النافذة ويقول للطباخ بصوتٍ رخيم :

– صباح الخير ، أيها الطباخ الماهر .

وأجابه الطباخ الذي نسي رئيس الطباخين أن يحذره :

– صباح الخير أيها الطير الذهبي الرائع .

واستمرَّ الكنار يقول :

– أتمنّى أن تنامَ نوماً عميقاً وأن تحترقَ البطّةُ لئلا يبقى لفأرةِ الحقول شيئ .

ونامَ الطباخُ نوماً عميقاً وعندما عادَ رئيسُ الطباخين وجدَ البطةَ فحماً والطباخ نائماً فأيقظه بالصراخ وأنّبه بشدّة . ولكي ينقذَ الطباخُ نفسَه من اللومِ والتقريع أخبرَ رئيسَ الطباخين بما حدثَ وأضاف :

- ذلك الطيرُ الملعونُ ! سوف ينتهي الأمر بي الى الطرد من القصر بسببه هيا أيها المساعدون . ليختبئْ بعضكم هنا . وحين يأتي أمسكوا به ودقّوا عنقه .

ووضع على السّفود بطةً ثالثةً وأشعلَ ناراً عظيمةً وجلس بجانبها . وظهر الطيرُ مرة ثالثة وقال :

- صباح الخير . أيها الطبّاخ الماهر .

- صباح الخير أيها الطيرُ الذهبيُّ الرائع .

أجابه الطباخُ وكأن شيئاً لم يكن . وحالما بدأ الطيرُ يكمل كلامه المعتاد (أتمنى أن تنام ...) قفز مساعدٌ كان مختبئاً خلف الباب وأغلق النافذة .

طار الكنارُ داخل المطبخ ومن ورائه مجموعة من المساعدين، تتقافزُ محاولة أمساكه ومعها مجموعةٌ من الطباخين والجميع يقذفُ نحوه المآزر وأدوات الطبخ من ملاعق وشوك وكلّ ما تصلُ اليه اليد . وبعد جولة ليست قصيرة أمسك به أحدُ المساعدين في اللحظة ذاتها التي دخل فيها اللورد برميل الى المطبخ وهو يهزُّ في يده صولجانه ويتقلّب يميناً ويساراً. إذ أن تأخر وصول البطة طويلاً جعل اللورد يأتي ليرى بنفسه ما الذي يمنعُ وصولَ بطتهِ المنتظرة . وتوقف المساعدُ في الحال . كان قد أوشك أن يفصلَ رأس الكنار عن جسده . وقال اللورد :

- ماذا تفعلُ يا ولد؟ اعطني هذا الطير الرائع .

وتناول الكنار من يدِ المساعدِ وراحَ يتحسّسه بأعجاب . ولمست يده دبوساً كان مغروزاً بين ريشِ الرأس . غمغمَ اللوردُ

بكلامٍ لم يسمعه أحد ، ثمّ سحبَ الدبوس . و العجب !
تحوّلَ الطيرُ في لحظاتٍ الى فتاةٍ جميلة ذات بشرة ذهبية ...ـرب
بخفّةٍ الى الأرض . وصاح اللورد :

– يا الهي ! ما أجملها من فتاة !

وصاح ديزاير الذي دخل المطبخ في هذه اللحظة :

– ابنتي ! أنها زيزي ، أميرتي !

وأخذها بين ذراعيه وهو يقول :

– عزيزتي زيزي ، كم أنا سعيدٌ برويتك مرة أخرى !

وسأل اللورد برميل :

– وماذا عن الفتاة الأخرى ؟

في تلك اللحظة كانت الفتاةُ الأخرى – فأرةُ الحقول – تتسلّل بحذرٍ هاربة من الباب ، وأبصر بها اللورد فصاح :

– أوقفوها ! سوف نحاكمها على جريمتها في الحال .

وجلس بوقارٍ وهيبة فوقَ الموقد وأصدرَ حكمه بحرقها حية . ثمّ أصطفَ كلُّ الطباخين والمساعدين وأعلن اللورد برميل خطوبة أبنهِ للأميرة زيزي .

وبعد أيام أقيم حفلُ الزفافِ وحضره جميعُ الشبان من الأراضي المجاورة وهم مسلّحون بسيوفٍ خشبية ومزينون بأطواق الورقِ المذهب . وتوسّطت زيزي لدى اللورد برميل ليعفو عن فأرة الحقولِ فعفا عنها وأرسلت الى أهلها .

وفي مساء يوم الزفافِ وجدت كلّ الخزاناتِ والمخازنِ والآنية

والموائد التي تعودُ لجميعِ الناس ، الفقراء منهم والاغنياء محمّلة – وبطريقةٍ سحرية – بكلّ أصناف الطعام من الخبز والكعك والكيك والقبرات المشوية . وحتى البط المشوي وكذلك جميع أنواع المشروبات ، وهكذا لم يستطع اللوردُ أن يشكو من أن ابنه تزوّجَ المجاعة . ومنذ ذلك الوقت توفّرت كلُّ الخيراتِ في الأرياف ، ومنذ ذلك الوقت أيضاً اعتادَ الناسُ على رؤيةِ شابات جميلات ، ذهبيات البشرة . سوداوات العيون بين كثيرٍ من النساء الشقراواتِ الزرقاوات العيون . ذلك هو نسلُ الأميرة زيزي .

ذات الرداء الخشبي



فيما مضى من الزمانِ عاشَ ملكٌ عظيمٌ لم يُرزقْ من زوجتهِ الا ببنتٍ واحدةٍ لكنها كانت فائقةَ الجمالِ كاملةَ العقلِ والأخلاقِ. وحين توفيت زوجةُ الملكِ حزنَ عليها كثيراً وطالَ حزنهُ سنواتٍ وسنواتٍ لأنه كان يُحبّها حباً جماً. لكنه بعد ذلك سَئِمَ العيشَ وحيداً فتزوجَ أرملة كانَ لها هي الأخرى ابنةٌ وحيدةٌ، وعلى

عكس ابنةِ الملك كانت ابنةُ الأرملةِ سيئةَ الطباعِ شريرةً خبيثةً. وكانت زوجةُ الأب وابنتها تغارانِ من ابنةِ الملك لأنها جميلةٌ جداً لكنهما ما كانتا تجرؤان على إيذاء الأميرةِ في حضورِ الملك لأنه كان يُحبُّها كثيراً كما أحبَّ أمها من قبل.

وحدثَ أن دارت رَحى حربٍ ضروسٍ بين الملكِ وأحدِ الملوك الآخرين من الممالك المجاورة لأراضيهِ وذهبَ الملكُ للقتالِ فخلا الجوُّ للملكةِ الجديدة لتفعلَ ما تشاء، فراحت تسومُ ابنةَ الملكِ سوءَ العذابِ فتضربُها وتجوّعها وتسخّرها لأحقرِ الأعمال، وأخيراً أمرتها أن تذهبَ بالمواشي الى المرعى وتعتني بها. وهكذا ذهبت الأميرةُ لتسوقَ الأبقارَ في الحقولِ والغابات. ولم تكن الأميرةُ تحصلُ من الطعام إلا على النّزرِ اليسيرِ، لذا فقد غدت شاحبةَ الوجهِ نحيفةَ القوامِ باديةَ الحزنِ والتعاسة.

وكان من بينِ المواشي ثورٌ كبيرٌ أسودُ تميّزَ عن غيره بوداعتهِ وذكائهِ وكان غالباً ما يقف بجانبِ ابنةِ الملك ويدعها تمسّده. وذاتَ يومٍ وبينما كانت الأميرةُ جالسةً بين المواشي باكيةً متألمة جاء اليها وسألها عن سبب تعاستها الدائمة، فلم تجبه واستمرّت تنتحبُ وتنوحُ ودموعها تسيلُ على خدّيها، فقال لها الثور:

– حسناً، أنا أعرفُ سببَ بكائكِ رغم أنكِ لم تخبريني، أنك تبكين لأنَّ الملكةَ تقسو عليك ولأنها تريدُ أن تُميتَكِ جوعاً. ولكن ليس عليك أن تقلقي بشأنِ الطعامِ لأنَّ في أذني اليسرى قطعةَ قماشٍ واذا أخذتها ونشرتها فسوف تستطيعين الحصولَ على قَدرِ ما تحبّين من صحونِ الطعام اللذيذ.

وأخذت الأميرة قطعةَ القماش وفرشتها على الأرض المعشبةِ وفي لحظاتٍ ظهرت على قطعةِ القماش مجموعةٌ من أنفسِ الأطباقِ مما يشتهي كلُّ ذوقٍ بما في ذلك أصناف الحلوى والفواكه ، فأكلت الأميرةُ من ذلك الطعام وتحسّنت صحتها وتورّدَ وجهُها وامتلأ جسمُها وبدا عليها النشاطُ مما جعلَ الملكةَ وابنتها الهزيلة تكادان تموتان غيظاً من شدّة حسدهما لها. ولم تستطع الملكة أن تتخيّلَ كيفَ تبدو أبنةُ زوجها بهذه الصحة الجيدة رغم أنها لا تتناولُ من الطعامِ إلا القليل البسيط لذا ارسلت إحدى وصائفها لتتبعها الى الغابة وتراقبها فقد ظنّت الملكةُ أنَّ أحدَ الخدمِ يذهبُ بالطعامِ إليها سرّاً . وتبعتها الوصيفةُ الى الغابةِ واختفت في مكانٍ قريبٍ منها وراقبتها فرأت كيف تأخذُ قطعة القماشِ من أذن الثور الأسود وتنشرها ، وكيف تمتلئ قطعةُ القماشِ بأنواع المأكولاتِ الشهية التي تأكلها ابنةُ الملكِ وتعيدُ بها الصحة والتورّد الى جسمها . وهكذا عادت الوصيفةُ المتلصّصةُ الى الملكةِ وأخبرتها بما رأت .

وفي ذلك الوقتِ وصلت البشائرُ بالنصرِ العظيمِ الذي أحرزَه الملكُ على أعدائه ، وعادَ الملكُ المنتصرُ ومعه من رافقه الى الحربِ من الجنودِ والقوّاد وعمّت الأفراح والأحتفالاتُ المدينة بأسرها . ولكن لم يكن هنالك أسعدُ من ابنةِ الملك . أما زوجتهُ الجديدة فقد تظاهرت بأنها مريضةٌ وأعطت للطبيب كثيراً من النقودِ ليقول بأنها لن تشفى الا اذا أكلت من لحمِ الثورِ الأسود . وسألت ابنة الملكِ الطبيبَ ومعها غيرها ممن في القصر

أن كانت هنالك وسيلةٌ أخرى لانقاذِ زوجةِ الملك وتوسّلوا اليه أن يحافظَ بذلك على حياةِ الثورِ لأنه لا يوجدُ ثورٌ مثله في جميع أنحاء المملكة . لكنّ كلُّ ذلك ذهبَ سدىً فقد أصرّ الطبيبُ على رأيه فلا بدَّ من قتل الثورِ وتقديم بعض لحمه لتأكله وتشفى ولن ينفعَ دواءٌ آخر لها .

وملأ الحزنُ قلبَ الفتاةِ الطيبةِ ابنة الملك حين سمعت ذلك وذهبت الى المراح لترى الثورَ فوجدته واقفاً هناك منكّساً رأسَه يبدو عليه الانكسارُ والأسى فأشفقت عليهِ وانخرطت في البكاء . وسألها الثور :

– ما الذي يُبكيك أيتها الأميرة ؟

وأخبرته بأنَّ الملكَ قد عادَ وأنَّ الملكة تظاهرت بالمرض وجعلت الطبيبَ يقولُ إن شفاءَها لا يتمُّ إلا إذا أكلَت من لحم الثورِ الأسود وأنه سوفَ يقتلُ لتقديمِ لحمِهِ للملكة .

قال لها الثور :

–إذا ذبحوني فسوفَ يقتلونكِ أنت أيضاً . فاذا كنتِ متفقةً معي فسوفَ نرحلُ من هنا هذه الليلة .

وفكرت الأميرةُ قليلاً . لا يليقُ بها أن تغادرَ القصرَ وتترك أباها الذي تُحبُّه ويُحبُّها . لكن الأسوأ من ذلك أن تبقى مع الملكةِ الشريرةِ وتعرّض نفسها لألاعيبها الخبيثة ، وهكذا وعدت الثورَ بتركِ القصرِ معه .

وفي الليل ، بعد أن أخلدَ الآخرونَ للنومِ تسلّلت ابنةُ الملك بهدوء وصمتٍ الى مكان الثور . وحملها الثورُ فوقَ ظهرهِ

وركضَ بها الى الخارج بأسرع ما يستطيع .

وعند فجرِ اليوم التالي جاء الطبيبُ ومعه بعضُ المساعدين ليذبحوا الثورَ فلم يجدوه . وعندما استيقظ الملكُ وسأل عن ابنته لم يجدها أيضاً . وأرسلَ الملكُ الرُسُلَ الى كلِّ أنحاء المملكة للبحث عنها وأعلن عن فقدانها في كلِّ مكانٍ ولكن لم يذكر أحدٌ أنه رآهما .

في ذلك الوقت كان الثورُ قد سارَ بابنةِ الملكِ مسافةً طويلة وقطع أراضي شاسعةً . وذات يوم وصلا الى غابةٍ من النحاس حيث كلُّ شيءٍ الأشجار والأغصان والأوراق والزهورُ وكلّ شيء عدا ذلك أيضاً من النحاس . وقال الثور لابنة الملك .

- عندما ندخل هذه الغابةَ يجبُ أن تنتبهي لئلا تقطعي ورقةً واحدةً منها لأنك إن فعلت فسوفَ تكون نهايتكِ ونهايتي لأنَّ الوحشَ ذا الرؤوس الثلاثة الذي يملكُ هذه الغابةَ يعيشُ هنا .

ووعدته الأميرة أن تأخذَ حذرها ولا تقطع شيئاً من الغابة . وبالفعل حاولت الأميرةُ أن تتجنَّبَ قطعَ أيةِ ورقةٍ من أوراق الأشجار النحاسية وكانت تنحني تحت الاغصان الواطئة أو تبعدها بيدها عنها برفقٍ وحذر. لكنَّ الغابةَ كانت كثيفةَ الأغصانَ كثيرةَ الأوراق وكان المرورُ بينها بتلك الطريقة أمراً بالغَ الصعوبةِ بل يكادُ يكون مستحيلاً ورغم أن الأميرةَ كانت تبذلُ ما في وسعها فقد قطعت بطريقةٍ ما إحدى الأوراق التي علقت بيدها . وقال لها الثورُ أسفاً :

- أوه ! ما الذي فعلتِهِ الآن ؟ سيكلّفنا ذلك معركةَ حياةٍ أو

موت. ولكن احتفظي بهذه الورقةِ معك .

وبعد أن وصلا الى نهاية الغابة جاء اليهما وحشٌ ذو ثلاثة رؤوس وكان غاضباً مندفعاً وقال :

– مَن الذي يعبثُ بغابتي ؟

وأجابه الثور :

– الغابةُ ملكي أنا كما هي ملكك !

وصرخ الوحشُ بصوتٍ كالرعد :

– ستصارع من أجلِ ذلك حتى الموت .

صاح الثور : نعم ، وذلك ما سيحدث .

واندفعَ الاثنانِ بإتجاه بعضهما ، وتعاركا . نطحَ الثورُ ورفسَ بكلّ قوته ، وقاتل الوحشُ بضراوةٍ وعنف . ومرَّ النهارُ بأكمله قبل أن يضعَ الثورُ حداً لذلك الصراع بقتل الوحش ذي الرؤوس الثلاثة ، لكنه هو الآخر كان مثخناً بالجراح ومُنهكاً الى حدّ أنه لم يكن يستطيع الحركة . وهكذا كان عليهما أن ينتظرا يوماً آخر . وطلبَ الثورُ من ابنةِ الملك أن تاخذ أنبوبةَ المرهم المعلّقة في نطاقِ الوحش وتمسحَ جسمه بها ، وفعلت فشفيت جراحُه وعادت اليه قوته . وفي اليوم التالي انطلقا في سفرهما مرة أخرى. وسارا أياماً وأياماً ، وبعد وقتٍ طويلٍ جداً وصلا الى غابةٍ من الفضة كان كلُّ شيءٍ فيها من الفضة ، الأشجار والأغصان والأوراق والأزهار وكلُّ شيءٍ آخر. وقبل أن يدخلا الى الغابة حذّر الثورُ الأميرةَ قائلاً :

– عندما ندخل الى هذه الغابةِ يجبُ عليك أن لا تكسري غصناً

وأن لا تقطعي ورقة ، فأنك إن فعلتِ ذلك فستكون نهايتك ونهايتي لأن وحشاً بستة رؤوس يملك هذه الغابةَ ولا أعتقد أنني أستطيع أن أتغلبَ عليه .

أجابته ابنةُ الملك :

- أجل ، سوف أبذل قصارى جهدي وأكون أشدَّ حذراً ولن أقطع شيئاً لكن الغابة كانت كثيفةً جداً وأشجارها متقاربة فلا يكاد المرءُ يتمكنِ من المرور بينهَما ، وبذلت الأميرةُ جهدَها ومالت بجسمها مبتعدةً عن الاغصان وأبعدت قسماً منها بيدها بحذرٍ شديد ولكن في كلّ خطوة كانت الأغصان المليئة بالأوراقِ تضربُ وجهها ، ورغم كلّ حذرها قطعت بيدها ورقة صغيرة . وصاح بها الثور :

- اوه .. ماذا فعلتِ ياعزيزتي ، سوف نقاتلُ الآن وحشاً له ستة رؤوس وأقوى مرتين من الوحشِ السابق ، ولكن ابذلي جهدك للحفاظ على هذه الورقة .

وما كاد الثورُ يقولُ ذلك حتى ظهر الوحشُ وصاحَ قائلاً :

- مَن الذي يعبثُ بغابتي ؟

أجابه الثور :

- أنها غابتي كما هي غابتك !

وصرخ الوحشُ :

- ستقاتلُ حتى الموتِ من أجل ذلك !

وصاح الثور : وهذا ما سيحدث .

واندفع نحو الوحشِ ينطحُ عيونهَ ويضربُ بطنَه بقرونه ،

لكن الوحشَ قاتل كما قاتل الثورُ بعنفٍ ووحشيةٍ و بعد ثلاثة أيام تمكن الثورُ من قتلِ الوحش ولكن بعد أن نالَ منه التعبُ ونزفَ كثيراً من الدماء من جراحهِ العديدة التي أصيب بها حتى أنه لم يَعُدْ يستطيع الحركة ، وطلب من ابنة الملك أن تأخذ أنبوبة المرهم التي تتدلّى من حزامِ الوحش وتدهنَ بها جسمه . وما أن فعلت حتى شفي الثورُ من جراحهِ وعادت اليه بعضُ قوته . لكنهما أضطرا للاستراحة أسبوعاً كاملاً . وبعد ذلك انطلقا من جديد .

في البداية كان الثورُ ما يزال ضعيفاً ولم يستطع السيرَ بسرعة . وأرادت الأميرةُ أن تخفّف عنه فقالت له إنها ما تزال فتية وأنها تستطيعُ السير على قدميها ولكنه لم يوافق وأصرَّ على حملها فصعدت الى ظهره وسافرا مدة طويلة جداً قطعا خلالها أراضي شاسعةً بعيدةً ولم تعرف ابنة الملك أين كان الثورُ يأخذها لكنهما بعد مسيرةٍ طويلةٍ وصلا الى غابة ذهبية .

كان كلُّ شيْ في تلك الغابةِ من الذهب الخالص . الاغصان والأوراق والأزهار وفي هذه الغابة أيضاً حدث الشيْ نفسه الذي حدث في الغابتين السابقتين . النحاسية والفضية . وأخبرالثورُ الأميرةَ أنها ينبغي أن لا تقطع شيئاً لأنَّ الوحش ذا الرؤوس التسعة يملك الغابة الذهبية وهو أقوى من الوحشين السابقين كثيراً وأنه لا يعتقد أنه يستطيع الانتصار عليه لو صارعه . ووعدته بذلك .

لكن كثافةَ الغابةِ المتزايدة حالت دون أن تفي بوعدها فقد

وصلَ الأمرُ الى حدّ أنها خوفاً من كسرِ أيّ شيءٍ جلست وهي تفتل جسدها بكل طريقة ممكنة وتدور بجسمها من هنا الى هناك وتحني رأسها وتبعد بعض الاغصان عنها ومن دون أن تدري وجدت في يدها تفاحةً ذهبيةً وملأها الرعبُ حتى أنها بكت . وكادت ترمي التفاحة من يدها لكن الثور طلبَ منها أن تحتفظَ بها وأن لا تفرّطَ فيها أبداً وطمأنها قدر الأمكان ، لكنه كان يعرفُ أنَّ الصراعَ سيكونُ عسيراً جداً هذه المرة ولم يكن واثقاً من أنه يستطيعُ تدبرّ الأمر جيداً .

وجاء الوحشُ ذو الرؤوس التسعة وكان مخيفاً جداً حتى أن الأميرة لم تجرؤ على النظر اليه . وصاح الوحش :

– مَن الذي اعتدى على غابتي ؟

قال الثور :

– أنها غابتي كما هي غابتك !

صرخ الوحشُ :

– سنتقاتلُ من أجل ذلك !

وردَّ عليه الثورُ :

– حسناً . هذا ما سيحدث .

واندفع الاثنان نحو بعضهما وتعاركا . وكانت معركةً عنيفةً دمويةً حتى أن ابنةَ الملك كادَ يُغمى عليها من الهلع . نطح الثورُ الوحشَ بقرنيه بقوة . وقاتل الوحشُ قتالاً عنيفاً برؤوسه التسعة . وكلما قتلَ الثورُ أحدَ الرؤوس نفخت الرؤوس الأخرى فيه فيعودُ الى الحياة وهكذا استمرّت المعركة أسبوعاً كاملاً

واستطاعَ الثورُ أخيراً أن يتخلّص من الوحش نهائياً . وسقط الثورُ مثخناً بالجراح ولم يكن يستطيع حتى أن يطلبَ من الأميرةِ أن تمسحَ جروحَه بالمرهم الذي في حزام الوحش لكنها فعلت ذلك من دون أن يخبرها فعادَ الى نفسهِ قليلاً وبقي الاثنان هناك لمدة ثلاثة أسابيع للراحةِ وبعدها انطلقا من جديد .

سارا قدُما بعد ذلك فقد قال الثورُ أن أمامَهم مسيرةً أخرى ، وقطعا بضعة تلالٍ وغاباتٍ كثيفة واستمرَّ هذا بعض الزمن ووصلا بعد ذلك الى أرض المراعي . فسأل الثورُ ابنة الملك :

– هل ترين شيئاً ؟

أجابته الأميرةُ :

– كلا . لا أرى شيئاً غير السماء من فوق ، ومن تحتها المراعي المنبسطة .

بعد ذلك سارا حتى وصلا بقعةً مرتفعةً فتسلّقاها ونظرا منها وسأل الثور مرة أخرى :

– هل ترين شيئاً الآن ؟

أجابت الأميرة :

– نعم . أرى الآن قلعةً صغيرةً . لكنها بعيدةٌ . بعيدةٌ جداً .

قال الثور :

– ليست صغيرة جداً على أية حال .

وبعد قليلٍ وصلا الى تلٍ مرتفعٍ حيث الأرض صخرية

وعرة . وسأل الثور :

– هل ترين الآن شيئاً .

أجابت ابنة الملك :

– نعم ، أرى القلعةَ قريبةً منا وهي كبيرةٌ ، كبيرةٌ جداً !

قال الثور :

– والى هناك ستذهبين ، فتحت القلعة مباشرة توجد زريبة خنازير ، وستسكنين فيها ، ستجدين هناك ثوباً من الخشبِ تلبسينه وتذهبينَ الى القلعةِ وتقولين ان اسمك (كاري ذات الثوب الخشبي) وتطلبينَ الحصولَ على مكانٍ للسكن وعملٍ في المطبخ . ولكن قبل أن تذهبي يجبُ أن تقطعي رأسي بسكينك الصغيرة وتسلخي جلدي ثم تلفين الجلدَ وتضعينه هناك تحت الصخرة وتضعين في داخلهِ الورقةَ النحاسيّةَ والورقةَ الفضّيةَ والتفاحةَ الذهبية . سوف تجدين قُربَ الصخرة عصاً مغروزةً في الأرض وعندما تريدينَ رؤيتي لأيّ سبب فعليكِ أن تقرعي الصخرةَ بالعصا وسأحضر حالاً .

ولم تردْ الأميرةُ أن تفعل ذلك في البداية ولكن حين أخبرها الثورُ أن هذا هو كلّ ما يريده منها مقابلَ ما فعله من أجلها لم تستطع أن تفعلَ غير ذلك. وهكذا رغم أنها كانت تجد ذلك قاسياً جداً فقد أطاعت الأمرَ فقطعت رأس الثور وسلخته ولفّت الجلدَ ووضعت فيه الورقةَ النحاسيةَ والورقة الفضية والتفاحةَ الذهبيّة ووضعته تحت الصخرة .

بعد ذلك ذهبت الأميرةُ الى زريبةِ الخنازير وكانت طوالَ الطريقِ تبكي ألماً على صديقها الثور . ولبست الثوبَ الخشبيَّ الذي وجدته هناك ثمَّ سارت الى قصرِ الملك . وعندما وصلت ذهبت الى المطبخِ وتوسّلت من أجلِ أن تحصلَ على عملٍ وتسكن قائلة إن اسمها (كاري ذات الثوب الخشبي) . وأخبرها الطباخُ أنها تستطيع البقاء والعملَ هناك لأنَّ الفتاةَ التي كانت تعملُ هناك كانت قد تركت العمل في ذلك اليوم وأضاف :

– وأنتِ أيضاً حين تتعبينَ من هذا العملِ ستغادرين هذا المكان .

وقالت له الأميرةُ أنها لن تفعلَ ذلك أبداً ثم بدأت عملَها في غسلِ الصحون وتنظيفِ الأرض فقامت بذلك باتقانٍ وسرعة .

وفي أحد الأيام وكان يوم أحد جاء ضيوفٌ الى قصرِ الملكِ فطلبت كاري أن يُوذنَ لها بحملِ الماء لحمامِ الأمير ، لكن الآخرين سخروا منها وقالوا لها :

– ماذا تريدينَ أن تفعلي ؟ أتظنين أنَّ الأميرَ ينظر الى مسخ مثلك ؟

لكن كاري استمرّت بالتوسّل لكي يسمحَ لها بحمل الماء الى الأمير حتى سمح لها وعندما ذهبت كان ثوبُها يصطفق فيقعقعُ ويصدرُ أصواتاً عالية حتى أن الأميرَ خرج ليرى ما الأمر وحين شاهدَها سأل :

– أيّ مخلوق أنت ؟ وماذا تفعلينَ هنا ؟

وأجابته الأميرةُ :

- لقد جئتُ بهذا الماء لحمّامك .

قال الأميرُ غاضباً :

- وهل تتوقعينَ أن أستحمَّ بماءٍ جلبتهِ أنت ؟

وأخذ الماءَ منها وأفرغه فوقَ رأسها ، وكانَ عليها أن تتحمّل ذلك . وفي اليوم ذاته طلبت أن يؤذنَ لها بالذهاب الى الكنيسةِ وعندما خرجت من القصر لم تذهب الى الكنيسةِ مباشرةً بل ذهبت الى الصخرةِ وقرعتها بالعصا الموجودةِ هناك كما طلب منها الثور . وفي الحال جاء رجلٌ وسألها عما تريدُ فطلبت منه أن يحضر لها ما تلبسه لتذهبَ به الى الكنيسة لأنَّ ثوبَها لا يليقُ فأحضر لها ثياباً جميلة جداً وكانت كلّها لامعةً بلونِ النحاس كما أحضر لها جواداً أصيلاً سرجه ولجامه منقوشانِ بالنحاس . وعندما وصلت الكنيسةِ دُهِشَ جميعُ الناس وبهرتهم طلعتُها بثيابها الرائعة وجوادها المطهّم الجميل وتعجّبوا كثيراً وتساءلوا بينهم من تكونُ هذه السيدةُ الفاتنةُ . وحتى الأمير أعجب بها كثيراً ولم يستطع أن يرفعَ عينه عنها لحظةً واحدة . وبينما كانت خارجةً من الكنيسة تبعها الأميرُ فأسقطت أحدَ قفازيها والتقطه الأميرُ ولحقَ بها وسألها من أين جاءت فأجابته : (لقت جئتُ من بلادِ الحمامات)

وعندما أخرج القفازَ وأراد إعادته اليها قالت :

(خلفي الظلامُ وأمام عينيَّ المدى نورٌ يضيءُ هيهاتٍ يعرفُ من يراني من أيّ ناحيةٍ أجيءْ)

وجرى الجوادُ بالاميرةِ بعيداً من دون أن تأخذَ قفازها . وبقي الأميرُ واقفاً متحيّراً ينظرُ الى القفازِ الذي لم يشاهدْ مثله في

حياته .

وبعد ذلك ، ولبضعة أيام بقي الأميرُ يسألُ الناسَ عن صاحبةِ القفاز المجهولة التي تمتطي الجوادَ الأصيلَ المزيّن بالنحاس من دون أن يعثرَ على مَن يعرفُ عنها شيئاً. وفي يوم الأحد التالي طلبَ الأميرُ منشفةً وطلبت كاري ذات الثوب الخشبي أن تذهبَ بالمنشفة اليه وقال لها الطبّاخون والمساعدون :

– وما فائدةُ ذلك لك ؟ الاتذكرينَ ما حصلَ حين أخذتِ ماء الحمام اليه ؟ لكن كاري ألحّت وتوسّلت . وحين ذهبت بالمنشفةِ كان ثوبُها يقرعُ وتصطفق ألواحه . وخرج الأميرُ الذي سمعَ الضجةَ العظيمة وحين عرف أن كاري هي مصدرها سحبَ المنشفةَ من يدها ورماها في وجهها قائلاً :

– أغربي عن وجهي أيتها المتوحشةُ القبيحةُ ، أتظنين أنني أستعمل منشفةً لمستها أصابعك القذرة .

بعد ذلك ذهب الأمير الى الكنيسة وطلبت كاري الاذن بالذهاب أيضاً . فسألها الجميع كيف تريد الذهاب الى الكنيسة وهي لا تملك ثوباً لائقاً للخروج به ، بل لا تملك غير الثوب الخشبي الذي كان أسودَ قبيحاً ، لكن كاري كانت مصرّةً على الذهاب ، وأخيراً سمح لها فخرجت .

ذهبت أولاً الى الصخرة وقرعتها بالعصا فخرج في الحال الرجلُ وأعطاها رداءً أجمل وأفخم من الرداء السابق وكان مطرّزاً بالفضةِ ويلتمعُ كالغابةِ الفضية ، كما أحضر لها جواداً جميلاً جداً له سرج مطرّز بالفضة ولجامٌ من الفضةِ أيضاً

وحين وصلت الأميرةُ الى الكنيسةِ كان عددٌ كبيرٌ من الناس في الخارج ولما رأوها دُهِشوا من منظرها المهيبِ الرائع وتعجبوا من أينَ جاءت . أما الأميرُ فقد همّ بامساك جوادها أثناء ترجُّلها منه ، لكنها قفزت الى الأرضِ بسرعةٍ وقالت له إنها ليست بها حاجة الى ذلك لأنَّ الجوادَ مروّضٌ جداً بحيث يقفُ ساكناً حين تأمرُه بذلك ويأتي حين تناديه . وهكذا دخلا الى الكنيسةِ معاً لكنَّ أحداً من الآخرين لم يسمع ما قالته الأميرةُ لأنهم كانوا جميعاً مشغولين بالنظر اليها . وشعر الأميرُ بالحبِّ يشدُّه الى الاميرةِ أكثر من ذي قبل . وحين انتهى القُدّاس وخرجت الأميرةُ لتركبَ جوادَها لحق بها الأميرُ وسألها من أينَ هي فأجابته : (أنا من أرض المناشف)

وبينما كانت تتكلّم أسقطتِ السوطَ الذي في يدها وحينَ انحنى الأمير لألتقاطه قالت له :

- (خلفي الظلام ، والنور في عيني يضيْ

هيهات تعرف كيفَ أذهبُ أو أجيْ) وانطلقت بسرعةٍ لم يستطع الأميرُ أن يدركها ببصره . وسأل عنها كثيراً في كلّ مكانٍ لكنَّ أحداً لم يعرف عنها شيئاً واضطر الأميرُ الى الصبر على هذه الحال .

وفي يوم الأحد التالي طلبَ الأميرُ أن يجلبَ له المشطُ فطلبت الأميرةُ كاري أن تكون هي التي تذهبُ به اليه . وزجرها الآخرون لانها تريدُ أن يراها الأميرفي ثوبها الخشبي الحقير ، لكنها لم تكُفَّ عن الالحاحِ حتى سمحَ لها بأخذ المشط الى الأمير

فذهبت وهي تترقعُ بثوبها الخشبي وما كادَ الأميرُ يراها حتى أخذ المشطَ منها ورماه عليها بقوةٍ وهو يصرخُ بها أن تبتعدَ عنه بأسرع ما يمكن .

وبعد ذلك ذهبَ الأميرُ الى الكنيسةِ وطلبت كاري السماح لها بالذهابِ وتساءل الجميعُ أيضاً لماذا تذهبُ وهي لا تملك غير ثوبها الخشبي المزري الذي لا يليقُ لمقابلة الناس وربما يراها الأميرُ وسيكون ذلك محرجاً لها وربما ينالها عقابٌ بسببه ، لكن كاري أصرّت على الذهابِ حتى سُمح لها .

وحدث كلُّ شيءٍ كما حدث في المرّتين السابقتين ، ذهبت الأميرةُ الى الصخرة وقرعتها بالعصا فظهر الرجلُ وأعطاها ثوباً ذهبياً لا مثيل له في الجمالِ ، كان مصنوعاً كلّه من الذهب الخالصِ والماسِ والزُمرد وأعطاها فرساً نبيلة عليها سرجٌ ذهبيٌّ مزخرفٌ ولجامٌ من الذهب .

وحينما وصلت الى الكنيسةِ كان الناسُ جميعاً واقفينَ بانتظارها ، أما الأميرُ فقد أسرع لامساك جوادها لكنها قفزت منه بخفةٍ وقالت :

- كلا ، شكراً لا حاجةَ لا مساكِ الفرسِ المروضةِ جيداً فهي تقفُ ساكنةً حين أريدُ منها ذلك .

وهكذا دخلَ الجميعُ الى الكنيسةِ ، لكنّ أحداً لم يسمع ما قيلَ لأنهم كانوا جميعا مشغولين بالنظر الى الاميرةِ والتعجّب من أين جاءت . وغرق الأميرُ أكثر فأكثر في بحر حبّها ولم يَعُدْ يفكر إلا في أمعان النظر في جمالها الأخاذ .

وبعد القدّاس حين أوشكت ابنة الملك أن تغادرَ الكنيسةَ أمر الأميرُ بافراغ عربة من القار في المدخل حتى يقومَ بمساعدتها على العبور لكنها وضعت إحدى قدميها في الوسط وقفزت فعلقت فردةُ حذائها في القار . وركبت الأميرةُ فرسَها فجاء الأميرُ يركضُ خلفها وسألها من أيّ بلد هي فأجابته : (أنا من بلدِ الأمشاط)

وعندما همَّ بمناولتها فردةِ الحذاء قالت :

– (خلفي الظلامُ مخيمٌ . والنورُ قدامي يضيْ

لن تعرفوا من أي ناحية أجيْ)

وغادرت بسرعةٍ فلم يستطع الأميرُ ملاحقتها . وبقي زمناً طويلاً يسأل عنها وعن بلد الأمشاط . لكنه لم يحصل على جوابٍ شافٍ . وسافرَ الى أماكن بعيدة وجابَ الآفاق لكنه لم يعثر على أثرٍ يهديه . وأخيراً فكر في طريقةٍ للعثور عليها فأعلن أنه سيتزوجَ الفتاة التي تستطيعُ لبس الحذاء الذهبي ، كان الحذاء صغيراً جداً وكلُّ الفتياتِ اللواتي جئنَ من أقاصي البلاد لتجربة الحذاء كان لهنَّ أقدام أكبر منه . واستمرّت تجاربُ الحذاء على أقدام الفتيات وقتاً طويلاً وأخيراً جاءت زوجةُ أبِ الأميرة معها ابنتها القبيحةُ التي جرّبت الحذاء فلاءم قدمها لكن قبحها الشديد جعل الأميرَ غير راغبٍ بتنفيذ وعده بالزواجِ من الفتاة التي يلائمها الحذاء . ورغمَ ذلكَ فقد تمّت الاستعدادات لاقامةِ الزواجِ وزُينّت القبيحة لتكون عروساً للأميرِ ولكن عندما سارَ الموكبُ الى الكنيسةِ وقفَ طيرٌ صغيرٌ فوقَ غصنِ شجرةٍ في

الطريق وغنّى :

- (قطعةٌ من الأصابع

قطعةٌ من القدم

حذاء كاري الجميل

سالَ مْن جنبيهِ دَم)

وحينما نظَر الجميعُ الى الحذاء وجدوا أن ما قالَه الطيرُ هو الحقيقة فالدمُ كانَ يسيلُ من أطراف الحذاء . وهكذا ألغي الزواج . واستمرَّ البحثُ عن صاحبةِ الحذاء المجهولة . وأخيراً ، وبعد أن جرّبت الحذاء كلُّ فتاةٍ في البلاد طلبَ الأميرُ أن تجرّبه الخادمات أيضاً فجربته كلُّ الخادماتِ والمساعداتِ والمربياتِ في القصر فلم يلائم واحدة منهن أيضاً . وحينذاك سأل الأمير :

- ولكن أين كاري ذاتُ الثوبُ الخشبي ؟ أنها لم تجرّب الحذاء لقد تذكر ما قاله الطيرُ وبدأ يفهم معنى الأغنية . وقال له الأخرون :

- أوه .. تلك المخلوقة البشعةُ ، لا يفيدها أن تجرّبَ الحذاء فلابُدَّ أن لها قدماً كحافر الحصان .

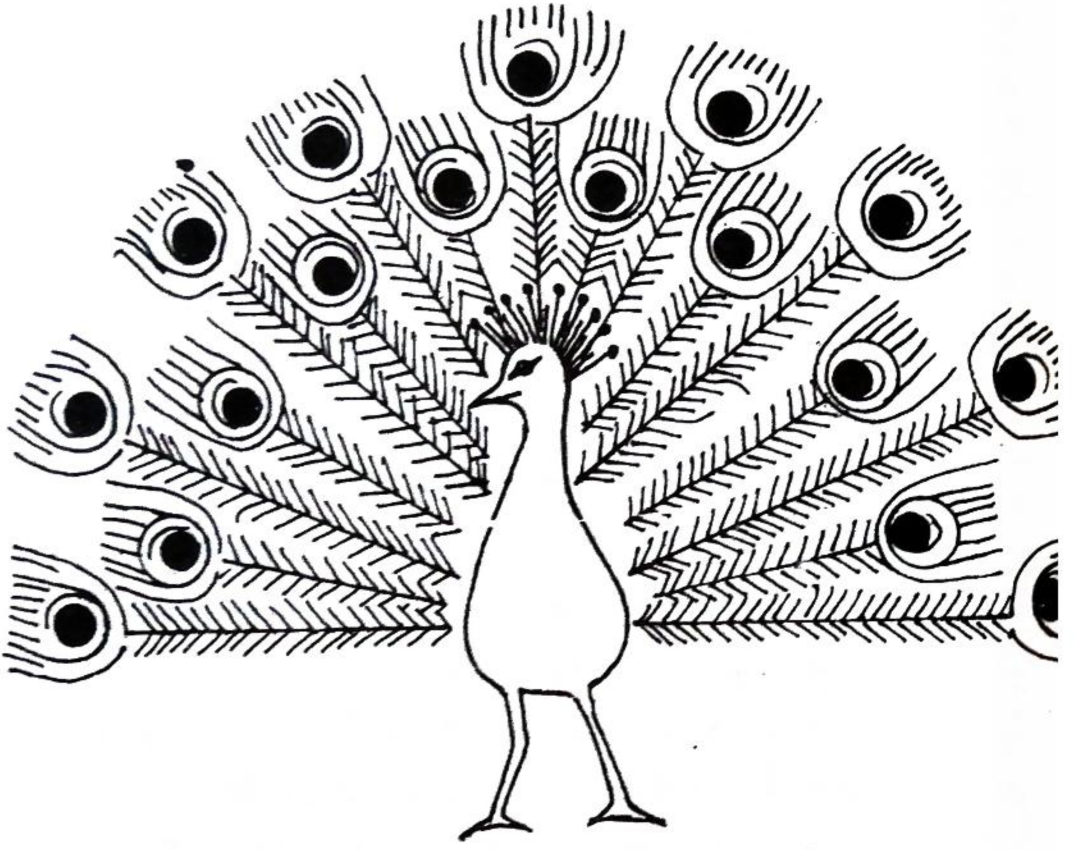
قال الأمير :

- ربما ، ولكن لا بُدَّ أن تجربَ الحذاء كما فعلَ غيرُها من الفتيات وناداها الأميرُ بصوتٍ عالٍ فجاءت وثوبُها يصدرُ قرقعتَه المعهودةَ وقالت لها الخادماتُ الأخريات :

- جرّبي الحذاء يا كاري ، جرّبيه وستكونينَ الأميرةَ يا ذاتَ الثوب الخشبي !

ورحنَ يضحكنَ ويسخرنَ منها . وأخذت كاري الحذاء الذهبيَّ ووضعته في قدمها فوافق حجُمه حَجمها كأحسن ما يمكن ثم خلعت رداءها الخشبي فبدا تحته الرداء الذهبيُّ يلتمعُ كأشعةِ الشمس عند الأصيلْ . وعلى قدمها الاخرى كانت فردة الحذاء الأخرى . وفي لحظات أدركَ الأميرُ أنها هي محبوبته المجهولة فأندفعَ نحوها وضمّها وقبلها . وحين عرفَ أنها ابنةُ ملكٍ فرحَ أكثر وبعد ذلك أقيمَ حفلُ الزواج وكان حفلاً لم تشهد البلادُ مثله من قبل .

الأميرة روزيت وملك الطواويس



فيما مضى من الزمان عاشَ ملكٌ وملكةٌ وكان لهما ابنانِ وسيمانِ وابنة واحدةٌ صغيرةٌ سمّوها (روزيت) كانت روزيت هذه آيةً في الجمال ومنذ ولادتها لم يسع كلُّ من رآها إلا أن يُحبَّها.

ولما حانَ موعدُ تعميدها أرسلت الملكة كعادتها في طلبِ جميعِ الساحراتِ لحضورِ المناسبةِ السعيدةِ ودعتهم الى وليمةٍ

كبيرة . وبعد انتهاء الحفلِ وقبل أن تنصرفَ الساحراتُ قالت الملكةُ لهنَّ :

- أرجو إخباري عن مستقبلِ ابنتي الجميلة (روزيت) ، ما الذي سيحدثُ لها حينما تكبر.

لكنَّ الساحراتِ قلنَ للملكةِ أن كتابَ السحرِ في البيتِ وأنهنَّ سيأتينَ في يومٍ آخر لإخبارها عن مستقبلِ الأميرة .

- آه .. (قالت الملكة) أنا أعرفُ جيداً ماذا يعني هذا الكلام ، ليس هناك شيْ جيّد يقال ، ولأبدَّ أن ابنتي ستعيشُ حياةً تعيسة ، ولكني أتوسّلُ اليكنَّ أن تخبرنني ولا تخفينَ شيئاً عني مهما كان محزناً. وهكذا ، وبعد إلحاحٍ شديدٍ قالت الساحرات :

- يا سيدتي الملكة ، نخشى أنَّ الأميرة (روزيت) ستكون سببَ شقاء أخويها ، ستجلبُ لهما الحظَّ السيْ ، وربما تسببّت في موتهما ، هذا كلّ ما نستطيعُ رؤيته حولَ مستقبلِ ابنتك العزيزة وأننا في غاية الأسف لأننا لا نجدُ ما نقوله غير هذا .

وانصرفت الساحراتُ ، وتركنَ الملكةَ في غايةِ الحزن ، وقد بانَ هذا الحزنُ على وجهها فلاحظ الملكُ ذلكَ وسألها عن سبب حزنها ، فقالت له أنها كانت جالسةً قُربَ النار فاحترقَ كلُّ الكتانِ الذي كانت تغزله .

قال الملك : أوه ، أهذا كلّ ما في الأمر ؟ سأجلبُ لك مزيداً من الكتان. وجلبَ الملكُ كميةً من الكتان أكبر مما تستطيعُ غزله في سنوات .

لكنَّ الحزنَ ما يزالُ بادياً على وجه الملكةِ لذا سألها الملكُ عن

سبب حزنها مرةً اخرى فاجابته أنها فقدت فردةً من خفّها الأخضر اللماع حين كانت تتمشى بجانب النهر.

قال الملك : أوه أهذا كلُّ ما في الأمر؟ سأجلبُ لك كثيراً غيره.

وأرسل الملكُ بطلبِ جميع الاسكافيين في مملكته، فجلبوا له حالاً عشرةَ آلاف زوج من الأخفاف الخضر اللّامعة قدمها للملكة.

ومع هذا فقد بقيت الملكةُ حزينةً بحيث ظهر حزنها على محياها، وسألها الملكُ مرة ثالثة عن سببِ هذا الحزن فأجابته هذه المرة أنها ابتلعت خاتمُ زواجها حين كانت تأكلُ الحلوى باستعجال، ولأنَّ الملكَ كان يحتفظُ بالخاتمِ لديه فقد اكتشف أنها لم تكن تقول الحقيقة وقال لها :

- يا عزيزتي، خاتمك معي فكيفَ تقولين هذا؟ انك تخفين عني شيئاً حتماً!

خجلت الملكةُ كثيراً وعرفت أنها أغضبتِ الملكَ، فاضطرتَ الى اخباره الحقيقةَ فحكت له كلَّ ما تنبأت به الساحراتُ عن مستقبلِ ابنتهما (روزيت) وتوسّلت اليه أن يفكر في طريقةٍ لمنعِ هذا المستقبل التعيس.

وَهنا بدا الحزنُ على وجهِ الملكِ وأطرقَ يفكر مدةً ثمَّ قال أخيراً :

- لستُ أرى طريقةً لانقاذ ولدينا من المصير السيّ إلا قطع رأس الأميرةِ وهي ما تزالُ صغيرة.

لكنَّ الملكةَ بكت وقالت أنها تفضّلُ أن يُقطعَ رأسُها بدلا من رأس صغيرتها المحبوبة وإن عليه أن يفكر في طريقةٍ أخرى لأنها لا يمكن بأيّ حالٍ من الأحوال أن توافقَ على هذه الطريقة القاسية .

وراحَ الملكُ والملكةُ يفكران بالأمر ، وأمضيا أياماً طويلةَ في التفكير من دون الوصولِ الى حلّ معقول . وسمعت الملكة يوماً أنَّ هناك ناسكاً يعيشُ في جذّعِ شنجرةٍ مجوّفة في غابةٍ كبيرةٍ قريبة من القلعة وأنَّ الناسَ يقصدونه لطلبِ النصحِ في الأمور العسيرةِ فقالت للملك :

– أفضلُ ما نستطيعُ عملَه يا عزيزي هو الذهاب الى الناسكِ وعرض الأمر عليه ، ولابُدَّ أنه سوفَ يجدُ الطريقةَ المناسبةَ لمنعِ تلك المصيبةِ المتوقعة .

وفي صباح اليوم التالي انطلقت الملكةُ مع أوّلِ خيوطِ الشمس ، وهي تمتطي بغلاً أبيضَ اللون ، حسنَ المنظر مزيّناً بالذهبِ الخالص ومعها اثنتان من وصيفاتها تركبُ كلٌّ منهما فرساً جميلة . وعندما وصلنَ جميعاً الى الغابةِ ترجّلنَ فلم يكن من السهلِ على الخيلِ السير خلال أشجار الغابةِ الكثيفة ، وهكذا سرنَ على أقدامهن متجهاتٍ الى الشجرةِ المجوّفةِ حيث يعيشُ الناسكُ العجوزُ . ولأول وهلةٍ أجفلَ الناسكُ حين شاهدهنَّ قادماتٍ لكنه اطمأنَّ حين رأى الملكةَ بينهن وقال لها :

– أنتِ على الرحبِ والسّعة يا جلالةَ الملكة ، ما الذي جئتِ تسأليني فيه ؟

وأخبرته الملكةُ بما تنبأت به الساحرات لابنتها الأميرة (روزيت) وطلبت منه أن ينقذها من حيرتها ويخبرها ما الذي ينبغي أن تفعلَ من أجل إسعاد ولديها وانقاذ ابنتها .

أطرق الناسكُ ثمَّ رفع رأسه وقال :

– إحبسوا الأميرةِ في بُرجٍ لا تدعوها تخرج منه أبداً .

شكرت الملكةُ الناسكَ بسخاء وأسرعت الى القلعةِ لتخبرَ الملكَ .

وعندما سمعَ الملكُ بذلك أمرَ ببناءِ بُرجٍ عظيمٍ بأسرع ما يمكن لتحبس فيه الأميرةُ (روزيت) . ومضتِ الأيامُ على ذلك المنوال ، وكان الملكُ والملكةُ والأميرانِ يذهبون لزيارة الأميرة في بُرجها كلَّ يوم لكي لا تحسَّ بالوحدةِ . وقد دُعي أخوها الأكبر بالأمير العظيم كما دُعي الأمير الثاني بالأمير الصغير ، وقد أحبّا أختهما حبّاً جماً فقد كانت أعذبَ وأروعَ أميرةٍ وقعت العين عليها ، وكانت أبسطُ ابتسامةٍ منها أغلى عندهما من مئاتِ القطع الذهبية .

عندما بلغت (روزيت) عامَها الخامس عشر ، ذهبَ الأميرُ العظيمِ الى الملك وسأله إن كان الوقتُ قد حانَ لتزويجِ الأميرة ، وفي الوقتِ ذاته سأل الأميرُ الصغيرُ أمَّه الملكةَ السؤالَ ذاته . وفرح جلالتهما كثيراً لأنَّ ولديهما فكّر بذلك الأمرِ لكنهما لم يردا بشيْ على السؤال . .

ولم يمّر وقتٌ طويلٌ بعد ذلك حتى أصيبَ الملكُ والملكةُ بمرضٍ شديدٍ لم يمهلهما طويلاً . فماتا في يومٍ واحدٍ . وبكى

الجميعُ حزناً عليهما ، خاصة الأميرة (روزيت) ، وقرعت الأجراسُ في طولِ المملكة وعرضها .

وبعد ذلك اجتمع كلُّ الوزراء والمستشارين وأجلسوا الأميرَ العظيم على عرشٍ من الذهب وتوّجوه بتاجٍ من الماس ، وصاحوا بصوتٍ واحدٍ (عاش الملك ، عاش الملك) وتلا ذلك مدة طويلة من الاحتفالات والولائم والمهرجانات البهيجة .

ولم ينغص سعادةَ الملكِ الجديد الا أمرُ حبسِ أختهِ في ذلك البرج الموحش ، فاستدعى أخاه الأميرَ وقال له :

– ما دُمنا قد غدونا سادةَ هذه البلاد فلا شيءَ يمنعُ أن نخرجَ أختنا من البرج لتعيشَ معنا نسعدُ بها وتسعدُ بنا .

وذهبا معاً الى البُرجِ الذي كانَ يقفُ عالياً بجوارِ القلعةِ العظيمة لا تفصله عنها الا الحديقة . كانت (روزيت) مشغولةً بتطريزِ قطعةٍ من الحرير ، فلما أبصرت أخويها قادمينِ نهضت وأمسكت يدَ الملكِ وقالت :

– صباح الخير يا أخي العزيز . الآن وبعد أن صرتَ ملكاً أرجوكَ أن تخرجني من هذا البرج الكئيب ، لقد سئمتُ الأيامَ والليالي الموحشةَ التي أقضيها فيه بعيدةً عنكما .

وبكت بعد ذلك بكاء مراً . لكن الملك قبّلها وربت على كتفها قائلاً :

– جفّفي دموعَك يا أختاه ، فما قَدِمنا الى هنا إلا لكي نخرجك من البُرج لتعيشي معنا في القلعةِ الجميلة .

وأخرج الأميرُ عُلبةً من الحلوى الشهية كان قد أحضرها لها

وقال :

– هيّا ، عجّلي ، ودعينا نغادر هذا البرجَ الكريه . وفي القريب العاجل سيرتّبُ الملكُ زواجاً ملكياً رائعاً لك .

حينما شاهدت (روزيت) الحديقة الجميلة . المليئة بالفواكه والأزهار ذات الأرض المعشوشبة والعيونِ الدافقة دُهشت كثيراً بحيث لم تستطع أن تنطقَ بكلمةٍ واحدةٍ فهي لم تشاهد في حياتها كّلها شيئاً مثل ذاك. نظرت حولَها قليلاً ثم انطلقت تجري هنا وهناك تقطع ثمرةً هنا وتقطفُ وردةً هناك وكلبها الصغير (فريسك) ذو اللون الأخضر البراق والذي كانت له اذن واحدة فقط يرقصُ أمامها ويعوي ويتقلّبُ ويتدحرجُ على الأرض الخضراء بطريقةٍ ساحرة .

كان الجميعُ سعداء مستمتعينَ بالعاب فريسك الغريبة المثيرة . ولكن فجأة ركضَ الكلبُ باتجاه أجَمةٍ صغيرة ، وتبعته الأميرةُ فرأت ما أدهشها أكثر من أيّ شيءٍ آخر ، رأت طاووساً ينشرُ ذيله الجميلَ في ضوءِ الشمس . وقالت روزيت لنفسها :

– ما هذا الشيءُ الجميلُ ؟! لا أظنُّ أن هناك في الكونِ شيئاً أجمل من هذا أبداً .

ولم تستطع (روزيت) أن ترفعَ بصرها عن الطاووس وبقيت هناك مبهوتة حتى جاء الملكُ والأميرُ وسألاها عما حصل لها فأشارت الى الطاووس وسألتهما عنه فأجاباها بأنه طيرٌ وأنَّ بعض الناس يأكلونه أحياناً فصاحت الأميرة :

ماذا ؟ هل يجرؤ أحدٌ على قتل هذا المخلوقِ الرائع وأكله ؟

إنني أعلن أمامكم الآن أنني لن أتزوّجَ إلا ملك الطواويس وعندما أصبحُ ملكةً فسوفَ أصدرُ أمراً بمنعِ أكل الطواويس فأنا لا أسمح بأن يعتدي أحدٌ على رعيتي.

دُهش الجميعُ عند سماعهم هذا القول وخاصة الملك الذي قال لأخته:

– ولكن أيتها الأختُ العزيزةُ الصغيرة، أين سنجد ملكَ الطواويس؟ وأجابته الأميرة:

– أوه .. ستجدونَه أينما تحبّون يا سيدي، غير أنني لن أتزوجَ أيَّ شخص آخر.

بعد ذلك أخذ الشقيقان اختهما الى القلعةِ الجميلة كما جلب الطاووس وترك ليعيشَ في الشرفةِ أمام شبّاك غرفتها حيث تستطيعُ أن تراه باستمرار. ثم جاءت جميعُ سيدات البلاط لزيارةِ الأميرةِ وجلبنَ لها الهدايا الجميلة من الفساتين والأشرطة الملوّنة والحلويات والمجوهرات واللعب والألبسة المطرّزة وغير ذلك، وقد شكرتهنَّ الأميرةُ على تلك الهدايا، وأعجبَ الجميعُ بجمالها وعذوبة حديثها ونبلِ أخلاقها.

وفي هذه الاحيان كان الملكُ والأمير يتباحثان في كيفيةِ العثور على ملك الطواويس، ان كان في العالم شيءٌ يُدعى ملك الطواويس. وكان أول شيءٌ فعلاه هو اعداد صورةٍ للأميرةِ تشبهها شبهاً تاماً حتى لتكادُ تنطقُ ثمَّ قالا للأميرة:

– حسناً يا عزيزتنا الأميرة، لما كنتِ لا تتزوجينَ إلا ملك الطواويس فأننا ذاهبانِ معاً نطوفُ الدنيا الواسعةَ للبحثِ عنه،

وسوف يُسعدنا أن نعر ـنيه من أجلك . ونريدُ منكِ أن تهتمي بالمملكة أثناء غيابنا .

شكرت الأميرةُ أخويها على ما سيتحملانه من متاعبَ من أجلها ووعدتهما برعايةِ شؤون المملكةِ بأفضلِ ما يمكن ، اضافةً الى أنها ستقضي وقتاً سعيداً بالتطلّع الى الطاووس وباللعب مع فريسك فوق حشائش الحديقة .

وهكذا انطلقَ الأخوانِ وراحا يسألانِ كلَّ من يصادفهما عن ملكِ الطواويس ولكن من دون فائدة ، فالجوابُ الوحيدُ الذي حصلا عليه هو (كلا .. لا أعرفه) .

واستمرا برحلتهما ، أبعد .. فأبعد حتى وصلا الى أماكنَ لم يصل اليها أحدٌ من قبل ، وأخيراً وصلا الى مملكةِ الصراصر .

لم يكن أيٌّ من الأخوينِ قد شاهد في حياتهِ مثلَ ذلك العدد الهائل من الصراصر وكان الطنينُ عالياً حتى خشيَ الملكُ أن يفقدَ سمعه بسببه . سأل الملكُ أبرزَ من لاقاه من الصراصر إن كان يعرفُ الطريقَ الى مملكةِ الطواويس وأجابه الصرصار بكل أدب :

– حتماً ياسيّدي ، أنها تبعدُ ثلاثينَ الف فرسخ من هنا ، لقد سلكت الطريقَ الأطول .

– وكيفَ عرفتَ ذلك ؟

– آه .. اننا نعرفك جميعاً يا جلالةَ الملك ، فنحنُ نمضي شهرين أو ثلاثة من كلّ سنة في حديقتكم .

وبعد هذا غدا الصرصارُ صديقاً للأخوين. وسارا معه يداً بيد، وتناولا معه طعامَ الغداء، ثمَّ راحَ الصرصارُ يدورُ بهما في أرجاء بلده العجيب، ويُريهم كلَّ الغرائب التي فيه. حيث تكلّفُ الورقةُ الخضراءُ الصغيرةُ جداً قطعةً ذهبية أو أكثر. وأخيراً غادرَ الملكُ وأخوه ليواصلا رحلتهما الى مملكةِ الطواويس. لكنهما في هذه المرة يعرفانِ الطريق جيداً. وحينَ أشرفا على المملكةِ المطلوبةِ لم يكن من الصعبِ عليهما أن يعرفا أنهما وصلاها. فعلى كلّ شجرةٍ شاهدا طاووساً. والصرخاتُ العاليةُ كانت تسمعُ من بعيدٍ جداً.

وعندما وصلَ الاخوانِ المدينةَ وجداها مليئةً برجالٍ ونساءٍ لا يلبسونَ غيرَ ريشِ الطواويس. وكانت تلك الملابسُ أجملَ من أيّ ملابسٍ سواها. والتقيا حالاً بالملك، كان يقودُ عربةً ذهبيةً جميلةً تزيّنها ماساتٌ لامعةٌ، ويجرها أثنا عشر طاووساً. وسرَّ الملكُ والأميرُ حينَ وجدا ملكَ الطواويس وسيماً جداً، كان له شعرٌ ذهبيّ مجعّدٌ، وبشرةٌ شاحبة. وكان على رأسهِ تاجٌ من ريش الطواويس.

وعندما شاهد ملكُ الطواويس الأخوين، عرفَ فوراً أنهما غريبان. فأوقفَ عربته، وأرسلَ في طلبهما. وحينَ مثلا بين يديهِ، حياه كلٌّ منهما وقالَ له الملك:

- لقد جئنا من مكانٍ بعيدٍ جداً يا سيدي لكي نريك هذه الصورةَ الجميلة. وأخرجَ الملكُ من كيسِ السفرِ الذي معه صورةَ الأميرةِ روزيت. نظر ملكُ الطواويس الى الصورةِ طويلاً في

صمتٍ وأخيراً قال :

– ما كنتُ لأصَدقُ أن هناكَ أميرةً بهذا الجمالِ في العالمِ ـــ !

– حقاً ، إن أختنا أجملَ كثيراً من هذه الصورة ، إنها أجمل منها مئات المرات.

– ماذا ؟ لأبدَّ أنكما تسخرانِ مني .

قال الأمير :

– سيّدي ، إنَّ أخي ملك مثلك ـــوهذه صورةُ أختنا الأميرة روزيت. لقد جئنا لنسألكَ إن كنتَ تَوَدُّ الزواجَ بها ، إنها طيبةً كما هي جميلة، وسوف نهديها في يوم زواجها شوالاً مملوءاً بالقطعِ الذهبيةِ .

– اوه .. انني أوافقُ على الزواجِ من كلّ قلبي ، وسوفَ أجعلُها سعيدةً دائماً ، ستنال كلُّ ما تحبّ. وسأحُبها كثيراً ، لكني أودُّ أن أحذركما أنها إذا لم تكن جميلة كما تدّعيانِ فسوفَ أقطعُ رأسيكما .

قال الأخوانِ في صوتٍ واحد :

– بالتأكيد ، أننا نوافقُ على ذلك .

– حسناً جداً ، والآن سوفَ تذهبانِ الى السّجنِ ، وستبقيانِ هناك حتى تصلَ الأميرة .

كان الأخوانِ واثقين من أن (روزيت) أجملَ كثيراً من صورتها، لذا ذهبا الى السجن من دون أدنى أعتراض . وكانا يُعاملانِ في السجن معاملةً طيبة، ولكي لا يشعرا بالوحشةِ أو الضجر كان الملكُ يزورُهما مراراً ، أما صورةُ الأميرةُ فقد نقلت

الى القصر، و.ن ملكُ الطواويس يقضي الساعات بطوال يحدّقُ فيها.

ولأنَّ الأميرينِ لم يكونا يستطيعانِ مغادرةَ السجن، فقد بعثا برسالةٍ الى الأميرةِ روزيت يطلبانِ منها أن تجمعَ كلَّ ثروتها باسرع ما يمكن، وأن تحضر اليهما لأنَّ ملك الطواويس ينتظرُ وصولها ليتمَّ الزواج. لكنهما لم يذكرا أنهما حبيسان لئلا يسبّبا لها ألماً أو قلقاً.

وحين وصلت الرسالةُ الى روزيت بلغَ من سرورها أنها راحت تركضُ هنا وهناك وتخبرُ كلَّ من تلقاه أنَّ الملكَ والأميرَ عثرا على ملكِ الطواويس، وانها ذاهبةٌ لتتزوجه.

أطلقت المدافعُ، وزُينت المدينةُ، وملأت السماءَ الالعابُ النارِيةُ فرحاً بالخبر السعيد، كما وزّع الكعك والحلوى في الشوارع. ولثلاثة أيام كان كلُّ من يأتي لرؤيةِ الأميرةِ يقدمُ له الخبزُ والمربّى وبيضةُ عندليبٍ وبعض المسكرات. وبعد أن أكرمت اصدقاءها بتلك الطريقةِ، وزعت الدمى التي تملكها على صديقاتها، وتركت مملكة أخيها تحتَ رعايةِ بعض الشيوخ الحكماء في المدينة، وطلبت منهم أن يعتنوا بكلِّ شيءٍ في المملكة، وأن لا ينفقوا النقودَ بل يحتفظوا بها جميعاً لحينِ عودةِ الملك، كما طلبت منهم العناية بطاووسها، وأن لا ينسوا إطعامَه جيداً. وانطلقت الاميرةُ بعد ذلكَ ولم تأخذ معها إلا مُربيّتها وابنةَ المربية وكلبها الأخضر الصغير (فريسك).

استقلّت الأميرةُ وأصدقاؤها مركباً سارَ بهم وسط البحر

حاملينَ معهم شوال القطع الذهبية وعدداً من البدلات يكفي الأميرةَ عشر سنين كاملةٍ لو أنها لبست اثنتين كلّ يوم ، وكانوا في أثناء الرحلة يضحكونَ ويمرحونَ ويغنون ، وسألت المربّية ربّان المركب :

– هل تستطيعُ أنّ تأخذنا الى مملكةِ الطواويس ؟

لكنه أجابها : أوه .. كلا أوه كلا !

– ولكن يجبُ أن تأخذنا ، يجبُ أن تأخذنا الى هناك .

وأجابها : في الحال ، في الحال .

وسألته المربيةُ مرةً أخرى :

– هل ستأخذنا ؟ هل ستأخذنا ؟

وأجاب الرّبانُ : نعم ، نعم .

ثم همست في أذنه :

– هل تريدُ أن تحصلَ على ثروةٍ لنفسك ؟

– أريدُ ذلك طبعاً .

– أنا أستطيعُ أن أدلّكَ على طريقةٍ تكسبُ بها ذهباً .

– لا أطلبُ في حياتي شيئاً أفضلَ من ذلك .

– حسناً ، في هذه الليلة ، عندما تنام الأميرةُ ، عليك أن تساعدني في القائها في البحر ، وبعد أن تغرقَ ، سوف ألبس ابنتي هذهِ الملابسَ الجميلة ، ثم نأخذها الى ملك الطواويس ، وسيُسعده كثيراً أن يتزوّجها ، أما جائزتك أنت فهي أن أملأ مركبكَ بالمجوهرات .

دُهِشَ الربانُ كثيراً لهذا العرضِ وقال :

– ولكن أليسَ من المؤسفِ اغراق أميرةٍ بهذا الجمال ؟

ومهما يكن الأمرُ فقد استطاعت المربّيةُ أن تقنعَ الربانَ بمساعدتها ، وعندما حلَّ المساءُ ونامت الأميرةُ كالعادةِ وكلبها الصغير متكوّرٌ في مؤخرةِ السرير عند قدميها ، جاءت المربّيةُ الشرّيرةُ ومعها الربانُ وابنتُها ، وقاموا بسحبِ الأميرةِ النائمةَ ، بفراشها المصنوع من الريشِ ، وبالحشية والوسائد ، وبالأغطية وكلّ شيءٍ ، ثمَّ رفعوها وألقوا بها في البحرِ حتى من دون أن تستيقظ من نومها .

ولحسنِ الحظِّ كان فراشُ الأميرةِ محشوّاً كلهُ بريش العنقاء النادرِ الوجود ، والذي يتميّز بكونهِ يطفو فوقَ الماء دائماً ، وهكذا راحت (روزيت) تبحرُ وهي نائمةٌ في فراشها ، وكأنها في زورق . وبعد قليلٍ شعرت بالبردِ ، وتقلّبت في فراشها عدّةَ مراتٍ حتى أيقظت (فريسك) الذي نهضَ وبدأ ينبحُ ، واستمرَّ ينبحُ طويلاً وبصوتٍ عالٍ جداً ، حتى أيقظ جميعَ السمك ، فراحَ يسبحُ حولَ فراشِ الأميرةِ العائم ، ثمَّ بدأت السمكات تضربُ الفراشَ بذيولها ورؤوسها الكبيرة ، وأحست الأميرةُ بذلك فقالت لنفسها :

– ماذا حصلَ لزورقنا هذه الليلة ؟ ماله يتمايلُ في الماء ؟ في كلّ الليالي السابقة لم أشعر بمثلِ هذا الانزعاج في نومي . .

أما المربّيةُ الشريرةُ والربانُ ، فقد سمعا على البعدِ نباح الكلب (فريسك) وقالت المربيّةُ للربان :

– لابُدَّ أنَّ ذلك الكلبَ المزعج، وسيّدته يشربانِ الآن نخبَ صحتنا من مياه البحر المالحة ، دعنا نسرعُ في الوصول الى اليابسةِ ، فلا بُدَّ أن نصلَ قريباً الى مدينةِ ملك الطواويس .

كان الملكُ قد أرسلَ مئاتِ العربات لا ستقبالِ الأميرةِ المنتظرة ، وكانت هذه العرباتُ تجرها كلُّ أنواع الحيواناتِ العجيبة ، أسودٌ ودببَة ، ذئابٌ ، وعولٌ ، وخيولٌ وجواميس ، وثيرانٌ ونسورٌ وطواويس ، أما العربة المخصّصة للأميرةِ (روزيت) فكانت تجرهّا ثلاثةُ أزواجٍ من القرود الزرق التي كانت تستطيعُ القيامَ بالألعابِ البهلوانية ، وترقصُ على الحبال المشدودةِ ، وتتقنُ الى جانبِ ذلك كثيراً من الحيل الساحرةِ الاخرى . كانت سروجُها كلُّها من المخملِ القرمزي المحلّى بالذهب الخالص ، وخلفَ العربة كانت تسيرُ ستُّ شابات ساحراتِ الحسن ، اختارهنَّ الملك بنفسه لأستقبال الأميرة (روزيت) وتسليتها.

كانت المربّيةُ قد بذلت كلَّ جهدِها لاظهار ابنتها بأفضل زينة ، ألبستها أجمل فساتين (روزيت) ، وغطّتها بالماس من قمّةِ رأسها حتى أخمصِ قدمها ، لكنها كانت قبيحةً جداً ولم يستطع كلُّ ذلك أن يغيرَ من الأمرِ شيئاً ، والأسوأ من ذلك أنها كانت سيئةَ الخلقِ عابسةَ الوجه ، دائمة التذمُّرِ والصراخ لأتفهِ الأسباب .

وما إن خطت مغادرةً المركبَ الى البر ، ولمحتها الحاشيةُ التي أرسلَها ملك الطواويس ، حتى عقدت الدهشةُ ألسنتَهم فلم يستطيعوا التفوّه بشيءٍ ، وصرخت الأميرةُ المزيّفة :

– ما بالكم ؟ لا تقفوا هكذا أمامي ! أسرعوا وأحضروا لي شيئاً

كله ، وإلا قطعتُ رؤوسكم جميعاً !

وسرت الهمساتُ بين الحاشية :

- يا للعجب ! إنها شريرةٌ كما هي قبيحة ، أيّةُ عروسٍ لملكنا التعيس ! أتستحقُ هذهِ كلَّ ما بذل لجلبها من أقاصي البلاد ؟

لكنها استمرّت بإصدار أوامرها هنا وهناك ، وتوجيهِ الصفعاتِ والقرصات لكلِّ من تطاله يَدُها لأدنى خطأ أو تماهُل .

كان الموكبُ طويلاً جداً ، لذا تقدّمَ ببطء شديد ، وكانت بنةُ المُربّية تحاولُ أن تظهرَ بمظهرٍ ملكيّ بجلستها المتكبّرة في العربة . لكنَّ الطواويسَ ، التي كانت تجلسُ على الأشجار تنتظرُ وصولَ الأميرة لتحيّيها ، والتي كانت قد عقدت العزمَ على أن تهتفَ «التعش مليكتُنا الجميلة» حينما لمحت الأميرةَ المزيفةَ لم تستطع إلا أن تصيح :

- أوه .. كم هي قبيحة !

وأغضبها ذلك كثيراً فصاحت بالحراس :

- أيّها الحرّاسُ ، أسرعوا بقتل هذه الطواويس الحقيرةِ التي تجرّأت على إهانتي .

لكنَّ الطواويسَ طارت بعيداً وهي تضحك منها .

أما الرّبانُ الخبيثُ - والذي كان يُراقبُ كلَّ ذلك - فقد قال للمربيّة هامساً :

- هذا سيئٌ بالنسبةِ لنا ، كانَ على ابنتكِ أن تكونَ أجمل !

لكنها أجابته :

- إخرس ، أيها الغبي، والا أفسدتَ كلَّ شيءٌ .

ووصلَ الخبرُ الى الملكِ باقتراب موكبِ الاميرة فقال لمن حولَه :

– حسناً ، لنَرَ الآن إن كانَ ما قاله أخواها صحيحاً ، وإن كانت فعلاً أجملَ من صورتها

وأجابه بعض حاشيته :

– سيّدي ، لو كانت في جمالِ الصورةِ فقط فأنَّ ذلك يكفي .

– هذا صحيح ، وأنا من جانبي سأرضى بها لو كانت كذلك ، هيّا بنا نلاقي الأميرةَ الجميلة .

ومن ضّجةِ الجماهير المحتشدةِ عرفَ الجميعُ أنَّ الموكبَ قد اقترب ، ولكنهم لم يستطيعوا فهمَ الكلامِ الذي يصدرُ عن الجماهير ، وخيّل للملك أنه يسمعُ كلاماً مثل (كم هي قبيحة ! كم هي قبيحة !) وتصّور أنهم يعنون بذلك الكلام مُربيّةَ الأميرة أو ربما حيواناً جلبته معها ، ولم يخطر بباله أبداً أنَّ المقصودَ بذلك الكلامِ عروسَه ذاتها .

وسار الملكُ في موكبٍ مُهيبٍ تتقدّمه صورةُ الأميرةِ روزيت مرفوعة عالياً يسيرُ خلفَها الملكُ محاطاً بمستشاريه . كان الملكُ في أشدّ الشوقِ لرؤية عروسه الجميلة ، لكنه ما كادَ يبصرُ ابنةَ المربيّةِ حتى تميزَّ غضباً ولم يتقدّم خطوةً واحدة ، فقد كانت العروسُ قبيحةً فعلاً الى حدّ أنها تخيفُ كلَّ مَن يراها .

وصاح الملكُ بصوتٍ كالرعد :

– ماذا ! هل تجرّأ الوغدانِ الحبيسان على القيام بخدعةٍ مثل هذه ؟ هل يعتقدون أنني يمكن أن أتزوّجَ هذهِ المخلوقةَ البشعة ؟

لتحبس في قلعتي الكبيرة مع مربيّتها. ومن جاء بها الى هنا . أما أخواها فسوفَ أقطعُ رأسيهما .

في تلك الأحيان كان الملكُ وأخوه الأميرُ ، اللذان عرفا أن أختهما قد وصلت ، قد أعدّا نفسيهما وجلسا يتوقعان أن يُطلبا بين دقيقةٍ واخرى لتحيّةِ أختهما الأميرة . لذا فقد دُهِشا أشدَّ الدهشةِ حين جاء السجّانُ ومعه الجنودُ وحملوهما الى زنزانةٍ مظلمةٍ مليئةٍ بالضفادعِ والخفافيش غرقاً في مائها حتى رقبتيهما .

وقال الأميرُ لأخيهِ الملك وهو في حَيْرةٍ من أمره :

– هذا زواجٌ مشؤوم ، ما الذي حدثَ حتى نُعاملُ بهذهِ الطريقةِ السيئة ؟ لا بُدَّ أنهم ينوونَ قتلنا !

وظلّت هذه الفكرةُ تقلقهما كثيراً ، ومرّت ثلاثةُ أيام وهما على هذهِ الحالةِ من دون أن يسمعا شيئاً جديداً ، وبعد ذلك جاء ملكُ الطواويس وكلّمهما من خلال فتحةٍ صغيرةٍ في الجدار قائلاً :

– لقد دعوتما نفسيكما ملكاً وأميراً لكي تحاولا جعلي أتزوّج أختكما ، لكنكما لستما سوى شحّاذين ، ولا تستحقانِ حتى الماء الذي شربتماه. وسوفَ لن أطيلَ معكما فأنَّ السيفَ الذي سيطيحُ برأسيكما يسنّ الآن استعداداً لذلك !

وردَّ الملكُ غاضباً :

– يا ملك الطواويس ، عليك أن تنتبه لنفسِكَ ولما تفعل ، انني ملكٌ مثلك ، ولديَّ مملكة عظيمةٌ ، وثيابٌ ملكيةٌ وتيجان ، وكثير من الذهبِ الأحمرَ الخالص أفعلُ به ما أريد . أنك سعيدٌ

بالتندّرِ حولَ قطعِ رؤوسنا ، وربّما تظنُّ أننا سرقنا منكَ شيئاً ما !

في البدايةِ بهرَ هذا الكلامُ الجسورُ ملكَ الطواويس وفكر باطلاق سراحهم جميعاً ،لكنَّ رئيس وزرائهِ قال له، إنه لا يمكن أن تمرَّ حيلةٌ خبيثةٌ مثل تلك الحيلةِ من دون عقابٍ رادعٍ ، وانه لو فعلَ ذلك لسخر الجميعُ منه، وأقترحَ أن توجّه اليهما تهمةُ خداعِ الملك، لانهما وعداه بالزواج من أميرةٍ جميلةٍ، وحين وصلتْ ثبتَ أنها بنتٌ قبيحةٌ وسليطة

وتُلي الاتهامُ على السجينينِ اللذينِ صرخا بأنهما لم يقولا إلا الحقيقة ، وأنَّ أختهما كانت فعلاً أميرةً أجملَ من شمسِ النهار ، وأنه لابُدَّ من وجودِ سببٍ غامضٍ لكلّ ذلك لا يستطيعانِ إدراكه . وقد طلبا لذلك مهلةَ سبعةِ أيام ليتمكنا من إثباتِ براءتهما . لكنَّ ملكَ الطواويس – الذي كان غاضباً جداً – لم يوافق على منحهما هذهِ الفرصة . غير أنه وافقَ بعد إلحاحٍ شديد .

وبينما كان هذا يحصلُ في قاعةِ المحكمةِ كانت أمورٌ أخرى تحدثُ للأميرةِ الحقيقية ، فعندما أشرقت الشمس دُهشت الأميرةُ وكلبُها فريسك حين وجدا أنهما وحيدانِ على سطح الماء من دونِ مركبٍ، ولا ربّان، ولا أحدَ يمكنُ أن ينقذهما أو يساعدهما . وبكت الأميرةُ ، بكت كثيراً حتى أنَّ سمك البحر أشفقَ عليها ورقَّ لحالها .

وقالت الأميرةُ لنفسها :

• احسرتاه ! لا بُدَّ أنَّ ملكَ الطواويس أمر بالقائي في البحر

أنه عدلَ عن رأيه، ولم يَعُدْ راغباً في الزواج مني . ولكن ما أغربَ ذلك منه ، لقد أحببته ولو تزوجني لسعدنا معاً .

وراحت تبكي أكثر وأكثر لأنها كانت ما تزال تُحبُّه ، ولمدة يومين كاملين بقيا طافيينِ على سطح البحر والأمواجُ تبللّهما وهما يرتجفان من البرد ، وكانا جائعينِ جداً حتى أنَّ الأميرةَ حينَ رأت بعضَ المحار أمسكت بهِ، وأكلت منه هي وكلُبها، رغم أنهما لم يحبّا طعمه أبداً . وعندما حلَّ المساء كانت الأميرةُ خائفةً جداً، وطلبت من كلبها أن يستمرَّ بالنباحِ ليبعدَ عنهما الأرواحَ الشريرة .

وأخيراً وصلَ الفِراشُ العائمُ الى الشاطئ حيث كان رجلٌ عجوزٌ فقيرُ الحال يعيشُ وحده في كوخٍ صغيرٍ. وعندما سمعَ نباحَ فريسك ظنَّ أن سفينةً قد تحطّمتً على الشاطئ وخرجَ ليرى إن كان يستطيعُ المساعدة . ورأى الرجلُ العجوزُ الأميرةَ وكلبها عائمينِ في البحر . ورأته الأميرةُ أيضاً فلوّحت له بذراعيها صائحةً :

– أيها الرجلُ الطيب ! أنقذنا ، أنقذنا لئلا نموت من البرد والجوع ! وحين سمعَ العجوزُ صراخَها الحزينَ ركضَ الى كوخهِ وجاء بعصا طويلةٍ ثمّ غطسَ في الماءِ حتى ذقنه ، وبعد عدّة محاولاتٍ كاد أن يغرقَ خلالها مرتين ، نجح أخيراً في إمساك فراشِ الأميرةِ وسحبه الى الشاطئ بأمان .

فرحت الأميرةُ روزيت والكلبُ فريسك حين وجدا نفسيهما مرة أخرى على الأرض اليابسةِ وشكرت الأميرةُ الرجلَ العجوزَ

من كلّ قلبها ، ثم التفّت بغطائها وسارت بجلالٍ ملكي الى الكوخ على قدميها الصغيرتين الحافيتين. وأشعل العجوزُ ناراً في الموقد، ثمَّ أخرجَ من صندوق قديم ثوبَ زوجته وحذاءها فلبستهما الأميرةُ، وبدت فيهما فاتنة على نحوٍ ما . وراحَ فريسك يدورُ حولها راقصاً أجملَ رقصاته لمدخلِ السرورَ الى قلبها .

وأدرك العجوزُ أن (روزيت) لأبُدَّ أن تكون سيدةً عظيمةً، لأنَّ أغطية فراشها كانت كُلها من الساتان الفاخر والذهب ، ورجاها أن تخبره بقصّتها، وطمأنها الى أنها تستطيعُ أن تثقَ به كلَّ الثقة . وأخبرته الأميرةُ بكلّ شيْ وبكت بمرارةٍ مرة أخرى وهي تروي له كيفَ أن ملكَ الطواويس أمرَ بالقائها في البحر رغم أنها أحبّته كثيراً .

وسألها الرجلُ العجوز : .

– والآن يا ابنتي ، ما الذي يجبُ أن نفعله ؟ أنتِ أميرةٌ عظيمةٌ ، وقد تعوّدتِ في حياتك كلّها على الرفاهية وأطايب الطعام ، وليس لديَّ ما أقدّمه لك هنا غير الخبز الأسمر والفجل ، وهذا لا يناسبك أبداً ، فهل تسمحينَ لي أن أذهب الى ملك الطواويس وأخبره أنكِ هنا ؟ لأبُدَّ أنه سيرغبُ في الزواجِ منك حالما يراك .

لكنَّ روزيت صاحت :

– كلا ! كلا ! لا بُدَّ أنه ملكٌ شريرٌ ما دام قد حاولَ إغراقي . لن نخبره بشيْ، ولكن . اذا كانت لديك سلّةٌ صغيرةٌ فأعطني إياها .

أعطاها العجوزُ سلّةً صغيرةً، فعلقتها برقبةِ فريسك وقالت

له :

– إذهب وأحضر لنا أفضل طعامٍ في المدينة .

وذهب فريسك ، ولما كان أفضلُ طعامٍ في المدينةِ هو ما يطبخُ في بيتِ الملك ، فقد ذهب فريسك مباشرةً الى مطبخ القصر الملكي ، ورفع غطاء القدر بمهارة ، ووضع كلَّ محتوياته في السلّةِ وعادَ الى سيدتهِ الأميرة التي قالت له :

– والآن عُدْ مرة أخرى الى مخزن الطعام واجلب لنا أفضلَ ما تجدُه هناك. وذهب فريسك مرّة أخرى وملأ سلّته بالخبزِ الأبيض والنبيذِ الاحمر وكلّ أنواع الحلوياتِ حتى أنه كاد أن لا يستطيع حملَ السلّة الثقيلة .

وعندما طلبَ ملكُ الطواويس غذاءه ، لم يكن هنالك في القِدْرِ شيْ ، كما لم يكن في المخزنِ شيْ . ونظر الخدمُ بعضهم الى بعض حائرين ، وغضبَ الملكُ غضباً شديداً وقال للخدم :

– حسناً ، اذا كانَ الغذاء قد ذهبَ ، فليكن الطعامُ وافراً في العشاء .

وعندما حلَّ المساء قالت الأميرةُ لكلبها :

– إذهب الى المدينةِ وأجلب لنا كلَّ ما تجده من طعامٍ في أفضل مطبخ .

وفعل فريسك كما أمرته الأميرة ، ولأنَّ أفضلَ مطبخ يعرفه هو مطبخُ الملك ، فقد ذهب اليه ودخلَ بخفةٍ . وعندما أدارَ الطباخُ ظهره ، أخذَ كلَّ شيْ من فوق فُرن الشواء . وقد حدثَ كلُّ ذلك بلمحِ البصر بحيث لم يستطع الطباخُ معرفة ما حدث .

وأصابته دهشةٌ وغضبٌ شديدان حين لم يجد شيئاً من الطعام الذي كان أعدّه . وهكذا حمل فريسك الطعام في سلّته الى سيّدته الأميرة التي أمرته بالعودة الى مخزن الطعام لإحضار كل الكعك والحلويات التي أعدّت لعشاء الملك .

وكان الملكُ – الذي حُرِمَ من الغداء – جائعاً جداً وأراد أن يتناول عشاءه مبكراً . ولكنه حين طلبه أخبروه أنّ العشاء قد ذهبَ أيضاً واضطر الى النوم وهو يكادُ يتضوّر جوعاً وقد نالَ منه الحنقُ والسخط .

وفي اليوم التالي حدث الشيءُ نفسُه . واستمرَّ ذلك ثلاثة أيام أخرى . فما يكاد الطعام يجهّز للغداء أو العشاء حتى يختفي بطريقةٍ غامضة . وأخيراً خشي رئيسُ الوزراء أن يموتَ الملكُ من الجوع . فرتبَ أمراً لكشف سببِ اختفاء الطعام ، وكمنَ في زاوية مظلمةٍ منِ المطبخ . ولم يرفع عينيهِ عن قِدْرِ الطبخ . وشدّ ما كانت دهشته حين رأى كلباً أخضر صغيراً يتسلّل بخفةٍ الى المطبخ . ويرفعُ غطاء القِدر ويفرغ كلَّ محتوياتهِ في سلّته ويركضُ مبتعداً . وأسرعَ الوزيرُ الأكبر في أثره ، وتبعه خلال شوارعِ المدينةِ حتى كوخِ الرّجلِ العجوزِ الطيّب . ثم عادَ مسرعاً الى الملكِ ليخبره أنه وجَدَ المكان الذي كانت تذهبُ اليه كلُّ تلك الأطعمة التي أعِدّت لغذائهِ وعشائه . دُهِشَ الملكُ كثيراً وقال أنه يَودُّ أن يذهبَ الى هناك ليرى بنفسه . وهكذا صحب رئيس الوزراء وانطلق يتقدمه بعض الحراس في الوقتِ المناسب

ليرى الوزراء ، وانطلقَ يتقدّمه بعض الحراس فوصلَ في الوقتِ

المناسب ليرى الرّجلَ العجوزَ والأميرةَ يجهزان على آخر ما تبقى من الغداء الملكي :

وأمرَ الملكُ بالقاء القبضِ عليهم جميعاً ، العجوز ، والأميرة ، وفريسك أيضاً ، وعندما وصلوا بهم الى القصر قال الملك :

– هذا اليوم هو آخر أيامِ المهلة التي أعطيناها للمحتالينِ ، وسوف نقطعُ رأسيهما ، ومعهما سرّاق طعامي أيضاً .

هنا ركعَ الرجلُ العجوزُ عند قدمي ملكِ الطواويس وتوسَّلَ اليه أن يمنحه الفرصة ليخبره بالقصّة كلها . بينما كان يتحدّثُ راح الملكُ ينظر بانتباه في أول الأمر الى الأميرة ، لكنه حين سمع أن اسمها روزيت ، وأنها ألقيت غدراً في البحر ، قفزَ من مكانه نحوها ، رغم ضعفه الشديد بسبب الجوع ، وعانقها بشوقٍ عظيمٍ ، وفكَّ وثاقها بيديه وهو يُعلنُ أنها أجملُ أميرةٍ على وجه الأرض ، وأنه أحبَّها من كلّ قلبه .

أرسلَ الملكُ الحرّاسَ في الحالِ لاطلاق سراحِ الملك والأمير واحضارهما ، فجاءا وهما خائفانِ يحسبان أنهما سيقتلان ، كما أحضرت المربيّة وابنتها والرّبان . وحالما دخلَ الأخوان هبّت روزيت للقائهما وعانقتهما وهي تبكي من الفرحِ بينما ألقى الخائنون أنفُسَهم على قدميها متوسّلين طالبينَ الرحمة ، وكانت الأميرةُ في غايةِ السعادةِ فسامحتهم وغفرت لهم ما فعلوا . أما الرجلُ العجوزُ فقد كوفيْ بسخاءٍ وعاش بقية عمره في القصر . واعتذرَ ملك الطواويس من الملكِ والأمير عن المعاملةِ السيئة التي عوملا بها

وبالغَ في أظهارِ أسفهِ على ما حصل .

أعادت المربيّةُ لروزيت كلَّ ثيابها ومجوهراتها وشوال القطع الذهبية وأقيم حفلُ الزفافِ في الحال . وعاش الجميعُ بعد ذلك في رَغدٍ وهناء وكم كان يحلو للأميرةِ روزيت وملك الطواويس أن يجلسا معاً بينما فريسك يقدّم رقصاته الجميلة .

اثنتا عشرة اميرة راقصة



فيما مضى من الزمان ، عاش في قريةٍ صغيرةٍ راعي بقر يتيمُ الأبوين ، كان أسمه (ميشيل) ، لكنَّ أهالي القرية كانوا يدعونه (راعي النجوم) ، لأنه حين كانَ يقودُ بقراتهِ في الأراضي المنبسطةِ القريبةِ من القرية بحثاً عن الكلأ ، كَان يسير ورأسه مرفوعٌ عالياً في الهواء .

ولأنه كان فتىً أشقرَ ، أزرقَ العينين ، أجعدَ الشعر ، جميلَ الصورة ، فقد كانت الفتيات القرويّاتُ يصحنَ به غالباً :

- ياراعي النجوم ! يا راعي النجوم ، ماذا أنتَ فاعل ؟

وكان (ميشيل) يردُّ عليهنَّ وهو سائرٌ في طريقهِ من دون أن يلتفتَ لينظر الى أيّ منهنَّ (اوه .. لا شيء)

وذات يوم في منتصف شهر آب ، وفي منتصف النهار حيث حرارة الشمس على أشدّها ، تناول (ميشيل) غداءه الذي لا يزيدُ على قطعةِ خبزٍ جافّة ، وذهبَ لينامَ تحتَ شجرةِ بلّوط . ورأى في منامهِ أن سيدةً جميلةً ترتدي ثوباً منسوجاً من الذهب الخالصِ جاءت وقالت له :

- اذهب الى قلعةِ (بيلويل) حيث تتزوج أميرةً حسناء .

في تلك الليلة قصَّ (ميشيل) حُلمَه على القرويّين . غير أنهم كالعادة لم يقابلوه الا بالسخرية .

وفي اليومِ التالي ، وفي الساعة ذاتها ، ذهبَ (ميشيل) لينامَ تحتَ الشجرةِ نفسها ، وظهرت السيّدةُ مرةَ أخرى وقالت له :

- إذهب الى قلعةِ (بيلويل) وسوفَ تتزوجُ هناك أميرةً حسناء .

وفي المساء أخبرَ (ميشيل) أصدقاءه أنه رأى الحُلُمَ مرةً أخرى ، وأنَّ السيدةَ قالت القول نفسه لكنهم ضحكوا وسخروا منه أكثر من السابق . وقال (ميشيل) لنفسه : لابأس . إذا ظهرت السيّدةُ مرةَ أخرى فسوفَ أفعل كما تقول .

وفي اليوم التالي دُهِشَ القرويون دهشةً عظيمةً حينما سمعوا صوتاً يغني في الظهيرة :

أيه يا راعي البقر، انطلق .. انطلق .. لا تبال بالخطر.

كان راعي النجوم يقودُ قطيعه الى الشونة. وعنّف الفلاحُ الراعي الصغيرَ وهو غاضبٌ جداً بسبب عودته السريعة، لكنّ ميشيل أجابه بهدوء: انني ذاهبٌ من هنا.

وحزمَ ثيابَه في صُرةٍ، وودَّع كلَّ أصدقائه، ثمّ انطلق بعزم باحثاً عن حلمهِ المنشود. وعمّت الدهشةُ القريةَ كلَّها وتجمّع الناسُ ضاحكين متعجّبين وهم يراقبون راعي النجوم يغذُّ السيرَ مبتعداً وهو يحملُ على كتفهِ عصا ربط بها صُرّةَ ثيابهِ، وعلى وجههِ أماراتُ الشجاعة والاصرار والهمّة.

وكان الناسُ في منطقةٍ واسعةٍ حولَ القلعةِ يعلمونَ أن اثنتي عشرةَ أميرة، ذوات حسنٍ باهرٍ يعشنَ في تلك القلعة، وكان معروفاً أيضاً أنَّ الأميراتِ كنَّ كريماتِ الأخلاق، ومن أصلٍ ملكيٍ عريق. وكنَّ شديداتِ الذكاء مُفرطات الإحساس، فلو أن حبّة حمّص وضعت تحت فراشِ إحداهُنَّ، وطرحت فوقها الحشياتِ والوسائد، لأحسَّت الأميرةُ بوجودها حالَ جلوسها على الفراش.

كان للأميرات أثنا عشر سريراً كلّها في غرفة واحدة. لكن ما كان شديد الغرابةِ هو أنَّ أحذيةَ الأميراتِ المصنوعةَ من الساتانِ كانت تُبلى كلَّ يوم، رغم أنَّ الغرفةَ كانت تُقفلُ بثلاثةِ أقفال. ولم تكن تسمعُ أية ضوضاء أو ضجة في الغرفة، ولم يكن من المعقولِ طبعاً أن تبلى الأحذية وحدها ومن دون أن يستعملها أحد.

وأخيرا امَر صاحبُ القلعةِ باطلاق النفيرِ والاعلان أن كلَّ مَن يكتشفُ السرَّ ويُفسرُ كيف تُبلى أحذيةُ بناتهِ الأميرات يحقُّ له أن يختارَ إحداهنَّ لتصبح زوجته .

وبعد ذلك الإعلان، وصلَ الى القلعةِ عددٌ من الأمراء ليجرّبوا حظهم، وجلسوا يراقبونَ طوال الليلِ خلَف بابِ غرفة الأميرات. ولكن عند طلوعِ النهار كان الأميرُ الذي يتقدّمُ للمراقبةِ يختفي بطريقةٍ عجيبةٍ، ولم يعرف احدٌ ما الذي حصلَ لأولئك الأمراء بعد ذلك.

وعندما وصل (ميشيل) الى القلعةِ، توجّه مباشرةً الى البستاني وعرضَ عليه خدماته. وصادفَ أنَّ الصبيَّ الذي يُساعد البستاني كان قد طرد من العملِ قريبا ، ورغم أنَّ راعيَ النجوم لم يكن يبدو قويَّ البُنيةِ. إلا أنَّ البستاني وافقَ على تشغيلهِ معه في القلعةِ لأنه فكر أنَّ وجهه الوسيَم وخصلات شعره الذهبية قد تُرضي الاميراتِ الساحرات.

كان أوَّل عملٍ يقومُ به (ميشيل) عند استيقاظِ الأميراتِ من النوم هو تقديم باقةِ وردٍ الى كلّ واحدةٍ منهَّن. وهكذا وقفَ راعي النجوم خلفَ بابِ غرفة الأميرات. والى جانبه سلّة وضع فيها اثنتي عشرة باقة. وأعطى لكل واحدةٍ من الأخوات باقةً. فأخذتها من دون ان تكّلف نفسها عناء النظر الى الشاب الذي قدّمها، عدا (لينا) اصغر الأميرات. التي حدّقت به بعينيها السوداوين الواسعتين وصاحت :

— أوه .. كمْ هو لطيفٌ صبيّ الزهور الجديد هذا !

وضحكت الأميراتُ الأخرياتُ. وقالت الكبرى: إنَّ الأميرةَ لاينبغي لها أن تقلّل من شأنها بالنظرِ الى صبيّ البستاني.

ورغم أن (ميشيل) عرفَ خطورةَ الأمر من اختفاء الأمراء جميعهم. إلا أن عينيّ الأميرة لينا الفاتنتين ألهمتاه رغبةً شديدةً في أن يجرّب حظه. لكنه لم يكن يجرؤ على التقدّم مباشرةً خوفاً من التعرّض للسخريةَ، وربما الطرد من القلعة كون ذلك وقاحةً منه.

ورأى راعي النجوم مرةً اخرى حُلُماً آخر، السيدة ذات الثياب الذهبية ظهرت له مرة أخرى وهي تحملُ في احدى يديها شتلتين مورقتين فتيّتين إحداهما شتلة كرز، والآخرى شتلة ورد، وفي اليد الأخرى تحملُ مجرفة ذهبية صغيرة، وابريقاً ذهبياً صغيراً، ومنشفة حريرية، وقالت له:

– إغرس هاتين الشتلتين في أصيصين كبيرين، وامسحها بالمنشفةِ الحريرية. وعندما تنمو الشتلتانِ الى طولِ فتاةٍ في الخامسة عشرة قل لكلّ منهما (يا شتلتي الجميلة، بالمجرفةِ الذهبيةِ قلّبتُ تربتك، وبالابريق الذهبيّ سقيتك، وبالمنشفةِ الحريريةِ مسحتك)، وبعد ذلك أطلب أيَّ شيْ تريده، وسوفَ تلبيّ الشتلتانِ طلبَكَ.

شكر (ميشيل) السيّدةَ ذاتَ الرداءِ الذهبي، وعندما استيقظَ من نومهِ وجدَ بجانبهِ الشتلتينِ الصغيرتينِ فنفّذ ما أمرته به السيّدةُ ذاتُ الرداءِ الذهبي كما أخبرته تماماً.

وترعرعت الشجرتانِ بسرعةٍ كبيرة، وحين صارَ طُولها بطولِ فتاةٍ في الخامسة عشرة قال لشجرة الكرز:

- يا نبتةَ الكرزِ العزيزة . بالمجرفةِ الذهبيةِ قلّبتُ ترابك . بالابريق الذهبيّ رويتك . وبالمنشفةِ الحريريةِ مسحتك . علمبني كيف أصيرُ خفياً لا تراني العيون .

وظهرت حالاً على شجرةِ الكرزِ زهرةٌ بيضاء رائعةٌ قطفها ميشيل. وثبتها في عروةِ زرّ ردائه . فاختفى عن الانظار .

وفي تلك الليلة عندما صعدت الأميراتُ الى غرفتهنّ. وآوينَ الى فراشهنّ. تجهنّ ميشيل حافيَ القدمينِ حتى لا يصدر عن سيرهِ أدنى صوت . واختبأ تحت أحدِ الأسرَّة . وفي الحال بدأت الأميراتُ بفتحِ خزاناتِ الملابس. وعُلَبِ المجوهرات. ورحنَ يلبسنَ أفخرَ وأفخم الحلل. ويتزيّنَّ بالحليّ . البديعةِ حتى ظهرنَ بأبهى مظهرٍ وأفضل زينة . ولم يكن (ميشيل) يستطيعُ أن يرى شيئاً من مخبئه لكنه كان يستطيعُ سماعَ كلّ شيٍ . وأصغى الى ضحكاتِ الأميرات وحديثهنّ المرح . وأخيراً قالت الأختُ الكبرى :

- إسرعنَ يا أخوات . فرفاقنا الآن على أحرّ من الجمر .

وعندما أطلّ راعي النجوم من مخبئه شاهدَ الأخواتِ الأثنتي عشرة في ملابسهنّ البهية. وفي أقدامهن أحذية الساتان. وفي أيديهنّ باقاتُ الوردِ التي جلبها في الصباح .

وسألت الأميرةُ الكبرى : هل الكلُّ جاهز ؟

وأجابت الجوقةُ المكونةُ من إحدى عشرة أميرة : نعم جاهز ثم وقفت الأميراتُ في صفّ واحدِ خلف أختهنّ الكبرى التي صفقت بيديها ثلاث مراتِ ففتح بابٌ خفيٌ واختفت الأميراتُ

جميعاً نازلات عَبرَ سُلَّمٍ سرّي . فأسرعَ ميشيل خلفهنَّ . وبينما هو يتبعُ الأميرةَ لينا داسَ من دون أن يدري طرفَ ردائها فصاحت :

- ثمّةَ شخصٌ ما يسيرُ خلفي . لقد داسَ على طرف ردائي .

قالت الأختُ الكبرى :

أسكتي أيتها الغبيّة . أنتِ دائماً خائفةٌ من شيءٍ ما . لأبدَّ أن مسماراً علقَ بردائك .

واستمرّت الأميراتُ نازلاتٍ الى أسفل حتى وصلنَ الى ممرّ في نهايته بابٌ فيه مزلاجٌ . فتحته الأميرةُ الكبرى . فأفضى الى غابةٍ صغيرةٍ ساحرة تزينُ أوراقَها قطراتٌ فضيّة تلمعُ في ضوء القمر . وبعد ذلك عبرت الأميراتُ غابةً أخرى أوراقها مرشوشةٌ بالذهب ثم غابة ثالثة أوراقها تتألّقُ بحبات الماس .

وأخيراً وصلنَ الى بحيرةٍ كبيرةٍ وعلى شاطئها وقفت زوارقُ صغيرةٌ بعددِ الأميراتِ وفي كلّ زورقٍ ظلّةٌ يجلسُ تحتها أميرٌ يمسكُ بيدهِ مجذافاً . وركبت كلُّ أميرةٍ في أحدِ الزوارقِ وبعد أن ركبت الأميرةُ الصغيرةُ (لينا) زورقها تسلّلَ (ميشيل) خلفها وجلس قريباً منها . وانحدرت الزوارقُ مسرعةً فوق الماء إلا زورق (لينا) الذي تخلّفَ عن البقيّةِ بسببِ الثقل الاضافي فيه . وقالت الأميرة :

- لم نسِرْ في يومٍ من الأيام بهذا البطء . لأبدَّ أنَّ لذلك سبباً !

وأجابها الأمير :

- لستُ أدري ما السبب . أؤكد لك أنني أجذفُ بكلّ قوتي .

وعلى الضَّفةِ الاخرى من البحيرةِ بدت قلعة جميلة تضيؤها الأنوارُ الساطعةُ، وتصدحُ فيها الموسيقى الشجيّة . وترجَّلَ الجميعُ ، وبعد أن ربط كلُّ أميرٍ زورقَه ، أعطى يَدَه للأميرةِ لترافقه الى القلعة .

وتبعهم (ميشيل) ودخلَ صالة الرقص خلفهم، فبهره المنظرُ الرائع ، المرايا في كل مكان ، والأضواء والزهورُ والدِّمَقْس . كان كلُّ شيْ كأجملِ ما يكون . وجلس في زاويةٍ من زوايا الصالة وهو يتملّى جمالَ وهيبةَ الأميرات ، بعض منهنَّ كنَّ شقراوات ، وبعض سمراوات ، ولبعضهنَّ شعرٌ كستنائي . وللبعض الآخر شعرٌ فاحم، ولغيرهنَّ شعرٌ ذهبيّ . لم يسبق أن شاهدَ أحدٌ مثلَ هذا العددِ من الأميراتِ الفاتناتِ معاً ، لكن الفتى الحالم راعي النجوم يرى الأجملَ بينهنَّ تلك الاميرةَ الصغيرة ذات العينين السوداوين الواسعتين .

وكم كانت ترقص بشوقٍ ولهفةٍ عظيمتين ! كانت تدورُ في حلبة الرقص كدوّامةِ الرياح . خداها متورّدان وعيناها تبرقان وبدا واضحاً جدّاً أنها تُحبُّ الرقصَ أكثر من أيّ شيْ آخر في الوجود .

أحسَّ راعي النجوم بالحسد يتملكه **لأولئك** الرجال الذينَ رقصوا معها. لكنه لم يستطع أن يدركَ سببَ غيرتهِ منهم .

كان أولئك الشبانُ هم أنفسهم الأمراء الذين حاولوا اكتشافَ سرّ الأميرات والذين اختفوا بطريقةٍ غامضةٍ . كانت الأميراتُ قد جعلنَهم يشربون شراباً سحرياً يجمّدُ ا[illegible]

.. حبَّ الرقص .

واستمرَّ الرقصُ طويلاً حتى بُليت أحذيةُ الأميراتِ وتثقّبت ، وعندما صاح الديكُ صيحته الثالثة توقّفت الموسيقى ، وقُدمّ عشاء فاخر. أزهارُ البرتقال المحلاّة ، أوراقُ الورد المتبلورة ، مسحوق أزهار البنفسج ورقائق القدّاح والزعفران ، وهو كما يعلم الجميعُ طعام الأميرات المفضل . وبعد العشاء عادَ الراقصونَ جميعاً الى زوارقهم ، وفي هذه المرّة ركبَ راعي النجوم زورقَ الأميرةِ الكبرى . وعبروا من جديدٍ غاباتِ الماسِ والذهبِ والفضّة ، وكسرَ (ميشيل) أحد الأغصان الصغيرة في الغابة الأخيرة واحتفظ به دليلاً على ما رآه .، فالتفتت لينا حين سمعت الصوت الذي يصدر عن كسرِ الغصنِ وسألت

– ماذا كان ذلك الصوت ؟

وردّت عليها الاخت الكبرى :

– لم يكن شيئاً ذا بال ، أنه فقط صرخةُ بومٍ يجثمُ في أحد أبراج القلعة .

وبينما كانت تقول ذلك استطاع (ميشيل) أن يتسلّل صاعداً السلالم ليصلَ الغرفةَ قبل الأميرات . ثم فتح إحدى النوافذ وانزلقَ نازلاً على كرمةٍ تتسلّق الجدار فوجد نفسه في الحديقةِ في الوقت الذي بدأت الشمسُ تلقي أشعتّها لينطلقَ مباشرةً الى عملهِ من دون تأخير .

وعندما أعدَّ (ميشيل) باقاتِ الوردِ للأميراتِ أخفى الغصنَ الصغيرَ ذا القطراتِ الفضّية في الباقةِ التي تقدم للأميرةِ الصغرى .

وعندما اكتشفت لينا ذلك دُهشت كثيراً . لكنها لم تقل شيئاً لأخواتها ، وعندما التقت بالفتى حينما كانت تتمشى تحت ظِلِّ شجرةِ دردار، توقفت فجأة وكأنها تنوي التحدثَ اليه . ثمَّ غيّرت رأيها فتركته وسارتِ من دونِ أن تقول شيئاً .

وفي المساء ذهبت الأخوات مرّةً أخرى للرقص وتبعهنَّ راعي النجوم وعبر البحيرة في زورق الأميرة لينا . وفي هذه المرة كان الأمير هو الذي أشتكى أنَّ الزورقَ يبدو ثقيلاً، فردّت الأميرةُ أن حرارة الجوّ ربما تكون هي السببِ، وخلال الرقص نظرت الأميرةُ الصغرى في كلِّ مكانٍ باحثةً عن صبي الزهور لكنها لم تستطع أن تراه .

وفي طريقِ العودةِ كسر (ميشيل) غُصناً من غابةِ الذهبِ واحتفظَ به ، والآن سمعت الأختُ الكبرى ذلكَ الصوتَ وسألت عن سببِهِ، فردّت عليها لينا أنه لابُدَّ أن يكون صوتَ البوم الذي يجثمُ في أحد أبراج القلعة .

وفي صباح اليوم التالي وجدت لينا الغصنَ الذهبيَّ في باقتها . وانتظرت حتى خرجت أخواتها جميعاً وسألت فتى الزهور :

– من أين جاء هذا الغصن ؟

– وأجابها ميشيل : سيادتكم الملكية تعرفُ ذلك جيداً .

– اذن فقد تبعتنا ؟

– أجل أيتها الأميرة .

ولكن ، كيف استطعت ذلك ؟ لم نشاهدك أبداً !

ردَّ عليها راعي النجوم بهدوء :
– لقد أخفيتُ نفسي. صمتت الاميرة برهةً ثم قالت :
– لقد عرفتَ سرَّنا ، فحافظ عليه ! وهذا ثمنُ كتمانك .
وأعطته كيساً مملوءاً بالقطعِ الذهبيه .
وردَّ عليها ميشيل :
– أنا لا أبيعُ كتماني .
وذهب من دون أن يأخذ كيسَ الذهب .
ومضت ثلاثُ ليالٍ لم تشاهد لينا في غصونها ولم تسمع شيئاً غير طبيعي ، وفي الليلة الرابعة سمعت صوتاً في غابةِ الماس ، وفي اليوم التالي كان غصنٌ ماسيٌّ في باقتها .
وانفردت الأميرةُ براعي النجوم وقالت له بصوتٍ غاضب :
– أنتَ تعرفُ الثمن الذي وَعَدَ به أبونا لقاء سِرّنا ؟
– أجل ، أعرفه أيتها الأميرة .
– أتريدُ أن تخبره به ؟
– كلا ، لا أنوي ذلك .
– هل أنت خائف؟
– كلا ، أيتها الأميرة .
– اذن ما الذي يجعلُك تكتمُ السرَّ ؟
لكنَّ ميشيل سكت ولم يُجب .
ورأت الأميراتُ الأخرياتُ لينا وهي تحدث صبيَّ الزهور، فسخرنَ منها بسببِ ذلك، وقالت لها الأميرةُ الكبرى :
– ما الذي يمنعكِ من الزواجِ به ؟ ستصبحينَ بستانيةً يوماً ما

وتلك مهنةٌ لطيفة . تستطيعينَ أن تعيشي في كوخٍ عند نهايةِ البستان، وتساعدين زوجك في سحب الماء من البئر، وتجلبينَ لنا باقاتِ الزهور أيضاً. غضبت الأميرةُ لينا، وعندما قدم لها راعي النجوم باقتها تسلّمتها منه بازدراء وترفُّع ، لكنّه عاملَها بكلّ احترام ولم يرفع عينيهِ اليها، غير أنها طوال النهار تقريباً أحسَّت بأنه يرافقها من دون أن تراه .

وذات يوم قرّرت أن تخبرَ الأخت الكبرى بكلّ شيءٌ ، وفعلت، فقالت لها الأخت الكبرى :

– ماذا !؟ هذا المتشرّدُ يعرفُ سِرنا ولم تخبريني ! يجبُ أن أتخلّصَ منه بأسرع ما يمكن .

– ولكن كيف ؟

– ليس أسهل من ذلك ! بوضعهِ في إحدىِ زنزانات البرج طبعاً .

في تلك الأيام كانت هذه هي الطريقةُ التي تتخلصُ بها الأميراتُ الجميلاتُ من الأشخاص الذين يعرفون أكثر مما يجب . لكنَّ الغريبَ في الأمرِ أنَّ الأميرةَ الصغرى لم يبدُ عليها أنها تفضّل تلكَ الطريقةَ لإغلاقِ فم صبيّ الزهور الذي ، رغم كلّ ذلك ، لم يُخبر أباهنَّ بالأمر لحدّ الآن .

واتفقت الاختانِ على استشارةِ أخواتهنَّ العشر الأخريات ، وكنَّ جميعاً الى جانبِ الأميرةِ الكبرى في الرأي ، ثم هدّدت الأميرةُ الصغرى بأخبارِ والدهنَّ بالسرّ اذا حدث أيُّ مكروهٍ لصبيّ البستاني .

وأخيراً تمّ الاتفاقُ على أخذِ ميشيل للرقص وإعطائه الشراب السحري الذي سيُمسخه كالآخرين . وأرسلت الأميراتُ في طلبِ راعي النجوم وسألنه عن كيفيةِ اكتشافه للسر. فلم يجب بغيرِ الصمت . ثم أمرته الأخت الكبرى بالذهاب معهنّ الى صالةِ الرقص فوافقَ في الحال .

كان (ميشيل) قد سمعَ كلَّ ما أتفقت عليه الأميراتُ، فقد كانَ حاضراً مجلسهنّ وهو خفيّ عن الانظار . وقرّر أن يتناولَ الشرابَ السحريَّ، ويضحي بنفسه من أجلِ سعادةِ الأميرةِ التي يُحبُّها . ولم يكن يُريدُ أن يبدو في مظهرٍ فقيرٍ الى جانبِ الراقصينَ الآخرين، فذهبَ حالاً الى شتلتيه وقال :

– يا نبتةَ الوردِ العزيزةَ ، بالمجرفةِ الذهبيّةِ زرعتُك ، بالأبريقِ الذهبيّ سقيتُكِ ، وبالمنشفةِ الحريريةِ نشّفتك . البسيني ثياب الأمراء .

وظهرت على نبتةِ الوردِ زهرةٌ ورديةٌ فقطفها (ميشيل) ليجدَ نفسَه في الحال لابساً ثياباً مخمليةً سوداء كعيونِ الأميرةِ مع قبعةٍ مناسبة وحليّ ماسيّة وباقة صغيرة من الوردِ في عروة الرداء .

وفي تلك الليلة قدّم نفسه بذلك الشكل لصاحبِ القلعة، والد الأميرات طالباً أن يجرّب حظه في أكتشاف سرّ الأميرات . وبدا مختلفاً بحيث لم يستطع أحدٌ أن يعرفَ أنه صبيُّ الزهورِ نفسه .

وذهبت الأميراتُ الى فراشهنّ وتبعهنّ ميشيل، وانتظر خلفَ البابِ حتى أعطيت اشارةُ الانطلاق . وفي هذه المرّة لم

يعبر في زورقٍ لينا ، واعطى يَدَه للأميرة الكبرى، ورقص مع كلّ الأميراتِ ، واسعده أن الجميعَ مسروورون به، وأخيراً جاء الوقتُ ليرقصَ مع الأميرةِ الصغرى . ووجدته أفضلَ رفيقٍ في العالم، لكنه لم يجرؤ على أن يقولَ لها كلمةً واحدةً . وحين عادَ بها الى مكانها قالت له بصوتٍ ساخر :

- ها أنتَ الآن في ذروةِ أمانيك ، لقد عوملتَ كأمير .

ردَّ عليها راعي النجوم بلطف :

- لا تخافي ، لن تكوني زوجةَ بستانيّ أبداً .

وحدّقت فيه الأميرةُ الصغيرةُ بوجهٍ خائفٍ، فتركها من دون أن ينتظر جواباً. وبعد أن بُليت الأحذيةُ، وتوقّفت الموسيقى جلسوا الى مائدةِ الطعام وكان راعي النجوم بجانب الأميرةِ الكبرى ، بينما جلست الأميرةُ الصغرى قبالته تماماً . وقدمت له أفضلَ أصناف الطعام وألذَّ أنواعِ المشروبات، ولكي يجعلوا رأسَه يدورُ تماماً، أنهالَ عليه الإطراءُ والمديحُ من كلِّ جانب .

وأخيراً أشارت الأميرةُ الكبرى فجاء أحدُ السُّقاةِ بقدحٍ ذهبيّ كبير، وقالت لراعي النجوم :

- لم يَعُدْ في القلعةِ السحريةِ سرٌّ لا تعرفه ، فلنشرب نخبَ انتصارك العظيم. نظر راعي النجوم نظرةً متمّهلةً الى الأميرةِ الصغيرةِ ورفعَ الكأس الى شفتيه من دون تردّد . وفجأةً صاحت الأميرةُ الصغرى :

- توقّف ! لا تشرب ! انني أفضّلُ أن أتزوجَ بستانياً .
وانهمرت الدموعُ على خديها . وألقى (ميشيل) الكأسَ

خلفَه ، وقفَزَ فوق المنضدة ثمَّ ركعَ عند قدمي الأميرةِ لينا ، وفعل باقي الأمراء مثله ، فركعَ كلٌّ منهم عند قدمي الأميرةِ التي اختارها ، وأختارت كلٌّ من الأميراتِ زوجَها فأجلسه الى جانبها . لقد بطلَ مفعولُ السِّحرِ أخيراً .

عادَ الأزواج جميعاً الى القلعةِ ، وعبروا الغاباتِ الثلاث وعندما عبروا البابَ الذي في الممر السري ، سُمِعَ صوتٌ هائلٌ كما لو أنَّ القلعةَ السحريةَ قد انهارت الى الأرض .

وذهبوا مباشرةً الى غرفةِ صاحبِ قلعةِ بيلويل الذي كان قد استيقظ تواً ، وأمسك ميشيل بيدهِ الكأس الذهبيةَ ، وكشفَ سِرَّ الأحذيةِ البالية .
وقال له صاحبُ القلعة :

- لك الآن حقُّ الاختيار ، أيُّ الأميراتِ تفضّل زوجةً لك .
-لقد أخترتُ يا سيّدي الدوق .
وأعطى يدهُ للأميرةِ لينا التي تورَّدَ خداها وخفضت عينيها خجلاً ولم تصبح الأميرةُ زوجةَ بستاني ، بل على العكس صارَ راعي النجوم أميراً . ولكن قبل أن يُقامَ حفلُ الزواج أصرّت الأميرةُ على أن يخبرها ميشيل كيف اكتشفَ السرَّ . فأخذها الى

حيث الشتلتان ، شتلة الكرز ، وشتلة الورد ولأنها كانت شديدةَ الفِطنة ، وفكرت أن الشتلتين تمنحان زوجها تفوقاً عليها فقد قطعتهما والقت بهما في النار .

ومنذ ذلك الحين اعتادت القروياتُ على التجوّالِ في السهولِ يرقصنَ ويغنينَ في ليالي الصيفِ تحتَ ضوءِ القمرِ الفضيّ .

فريق التوثيق
الألكتروني

مطبعة سومر هاتف ٧١٩٩٧٤٣

السعر (٣٥٠) فلساً

رقم الايداع في دار الكتب و الوثائق (٨١١) لسنة ١٩٨٩
مطبعة سومر هاتف ٧١٩٩٧٤٣